# تعظيم شعائر الله تعالى

**{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}[الحج:٣٢]**

أ.د/ عبدالله بن عمر الدميجي

**المقدمة:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}**[آل عمران:١٠٢].

**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}**[الأحزاب:٧٠-٧١].

**أما بعد:**

فإن تعظيم الله جل جلاله وتقدست أسماؤه هو أصل الإيمان وغاية العبادات ومنتهى أعمال القلوب؛ فلم تُنزل الكتب وتُبعث الرسل، بل لم تُخلق السماوات والأرض وما فيهنّ إلا لتعظيم الله تعالى وتوحيده وتنزيهه، ولا أدلّ على ذلك من أن سائر المخلوقات تسبح لله تعالى وتثني عليه بما هو أهله تعظيما وإجلالا وتنزيها وإكبارا، قال تعالى: **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا**

**غَفُورًا}[الإسراء:٤٤]**. فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، **{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَام}[الرحمن:٧٨]**.

ومن تعظيم الله تعالى تعظيم دينه وشرعه، وتعظيم نبيه صلى الله عليه وسلم: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}[الأعراف:١٥٧]**.

ومن تعظيم الله تعالى تعظيم شعائره وشرائعه، فتعظيم شعائر الله وحرماته من أجلّ العبادات التي أمرنا الله تعالى بها في قوله عز وجل:**{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}[الحج:٣٢]**.

وما يقع فيه المسلمون اليوم من تهاون بشرع الله وأحكامه وتجاوز لحدوده وحرماته ما هو إلا نتيجة وثمرة لضعف معرفتهم بالله تعالى وتعظيمه، وتقديره حق قدره وتعظيم دينه وشرعه.

وما أقبح الذين**{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ }[الزُّمَر:٦٧]**[1] فما عظّموه تعالى حق تعظيمه، **{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى**

---

[1] وردت هذه الآية في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، في سور الأنعام (آية:٩١) والحج (آية:٧٤) والزمر(آية:٦٧) ثم أردفها بما يدل كمال عظمته وجلاله ومنته على عباده وعلى تنزهه عما لا يليق بجلاله تعالى.

**بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ..}[الأنعام:٩١]** مع أنه تعالى يقول:**{ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[الحج:٧٤]** و**{ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الزُّمَر:٦٧]**ومع ذلك فما كانوا يرجون لله وقاراً، فما يعظّمون الله تعالى حق عظمته ولا يخافون من بأسه ونقمته[٢]**{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الزُّمَر:٦٧]**.

فكم نحن اليوم بحاجة إلى استصلاح قلوبنا وأعمالنا وعمارتها بتعظيم الله تعالى فيها، وتعظيم ما عظمه سبحانه وتعالى، فتعظيم الله تعالى هو قطب رحى الدين بإطلاق، فلا عبودية إلا بتعظيم، ولا دين صالح إلا بتعظيم، فعاد الأمر أولا وآخرا للتعظيم، وعلى قدر تعظيم الله تعالى في قلب العبد يكون امتثاله وعبوديته وطاعته وإحسان تديّنه بهذا الدين العظيم الذي ينتظم كل دين أنزله الله تعالى للعالمين.

ومن أعظم أسباب وجل القلوب وخشيتها ورجائها ومحبتها وصلاحها: تعظيم شعائر الله، فكل ما عظَّمه الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو عظيمٌ، وتعظيمه علامة صلاح القلب، وقد أَورَث الله من عظَّم شعائره؛ التقوى في قلبه، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّم شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقوَى القُلوبِ**﴾[الحج: ٣٢] فمن أول ما يجب اتخاذه من خطوات إصلاحية في عصرنا هو تعزيز معنى تعظيم الله تعالى وحرماته في القلوب، فكثير من صور

---

[٢] تفسير ابن كثير(٨/ ٢٣٣).

الانحراف المعاصر ليس سببها الجهل، وإنما سببها ضعف تعظيم الله تعالى وحرماته في القلوب.

لذا وجب علينا أن نتعرف على شعائر الله التي عظمها تبارك وتعالى وأمرنا بتعظيمها، وأن نتعرف على كيفية تعظيمها كما أمرنا الله تبارك وتعالى، لا كما تستحسنه عقولنا وآراؤنا.

كما يجب علينا مع ذلك بيانها لكل من أطقنا من المسلمين في أركان الأرض الأربعة، ويزداد التكليف والتشريف لمن كان من جيران الحرمين، فوفود الله إليهم تترا، وهم في حاجة لمن يزيدهم هدى وبصيرة وعلمًا وتقوى، فيا جيران الله أينكم من ضيوف العظيم تبارك وتعالى! فمن حقوق الإسلام بيان الشريعة والسنة لوفد الله تعالى من الحجاج والمعتمرين الذين يفدون إلى هذه الديار المقدسة لأداء هذه الأنساك والشعائر، وربط ما يمارسونه من شعائر الحج بتعظيم الله تعالى في قلوبهم، وتعظيم حرماته وشرائع دينه، وزيادة الإيمان والتقوى في قلوبهم، وتقويم المعوجّ من تعبّدهم وسلوكهم لتكون خالصة لوجه الله تعالى؛ يجنون ثمارها في حياتهم الدنيا وفي الآخرة.

كما يجب التنبيه والتفطن إلى عدم إشغال هذه الوفود بالتوافه من الأمور، وتعظيم ما لم يعظمه الله ورسوله من الآثار والقبور والمشاهد والجبال والمواقع التي لم يعظمها الله ورسوله، أو تعظيم ما عظمه الله بغير ما عظمها به من صنوف الحوادث والبدع، ومن اشتغل بتعظيم ما لم يعظمه الله حرم من تعظيم ما عظمه الله، وحرم جني ثمراته الإيمانية والقلبية، فالبدعة تطرد ما يقابلها من

السّنة، والعكس بالعكس. ومن امتلأ قلبه بتعظيم ما عظمه الله تعالى من أمر السنة انزاح عن فؤاده كل ميل لسواها من الأباطيل المحدثة.

والعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته؛ قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره، ويقابل المشروع بالكسل والتهاون وتتبّع الرخص للتخلّص منه؛ بخلاف من صرف نهمته للمشروع فإنه تعظم محبّته له ومنفعته به، ويتمّ دينه ويكمل إسلامه[٣].

---

[٣] ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم(١/٥٤٢).

**الفصل الأول : معنى الشعائر ومعنى تعظيمها وأنواعها.**

**أما لفظ المشعر الحرام فلم يرد إلا في آية واحدة في سورة البقرة، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّين}[البقرة:١٩٨].**

**والمشعر الحرام** هو جبل قُزَح[٤] الذي يقف عليه الإمام في مزدلفة، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصبح بجَمْع أتى قزح فوقف عليه، وقال: ((هذا قزح، وهو الموقف، وجمع كلها موقف))[٥].

وقيل هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي[٦] عرفة إلى وادي محسّر؛ والمراد المزدلفة كلها؛ ولذا لما رأى ابن عمر رضي الله عنهما، الناس يزدحمون على

---

[٤] قُزَح: جمع قزحة قيل في معناه اللغوي: من القَزَح وهو الارتفاع، وقزح الشيء أي ارتفع، وسعر قازح أي مرتفع وقيل هي الطرائق والأشكال والألوان ومنه قوس قُزح وهو القوس الذي يعترض في السماء بعد هطول المطر في الربيع وشروق الشمس، ويضم ألوان الطيف الشمسي السبعة. ونهى بعض العلماء عن تسميته بقوس قزح على اعتباره أحد أسماء الشيطان لكن الحديث الوارد في ذلك لا يصح وعدّه ابن الجوزي من الموضوعات(١/ ١٤٣-١٤٤) ولا بأس بتسميته قوس الرحمة لأنها من آثارها وهي الغيث، وقد ورد إطلاق اسم قوس قزح على ذلك القوس.

[٥] مسند أحمد ١٣٤٨(٢/ ٤٥٤)؛ سنن أبي داود- باب الصلاة بجمع ١٩٣٥(٢/ ١٩٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع٦٩٩٧، والأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود١٩٣٥.

[٦] تثنية مأزم، وهما: مضيق بين جمع وعرفة، وآخر بين مكة ومنى. ينظر: القاموس المحيط (ص: ١٠٧٥)،تاج العروس (٣١/ ٢١٣).

الجبل بجَمْع قال: " أيها الناس إن جمْعًا كلها مشعر" وقال: " والجبل وما حوله". [٧].

**موارد شعائر الله تعالى في السنة:**

وقد ورد هذا اللفظ في السنة دالّاً على عدّة معاني، منها:

– إشعار الهدي، وهو شق سنامه من الجهة اليمنى حتى يسيل الدم كالعلامة ففي البخاري عن عائشة، رضي الله عنها، قالت فتلت قلائد بُدْنِ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي ثم قلَّدها وأشعرها وأهداها فما حَرُم عليه شيء كان أُحِلّ له[٨].

– ومنه رفع الصوت بالتلبية كما في حديث زيد بن خالد الجهني عند ابن ماجه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( جاءني جبريل فقال: يا محمد مر أصحابك ليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعار الحج ))[٩] وعند أحمد: ((من شعائر الحج))[١٠].

–ومنه العلامة – أو كلمة السر – في الجيش الإسلامي، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (( إن بُيّتم فليكن شعاركم: حم لا ينصرون )) [١١].

---

[٧] تفسير الطبري (٤/ ١٧٦).

[٨] صحيح البخاري. ١٦٩٦(٢ / ١٦٩).

[٩] سنن ابن ماجه –باب رفع الصوت بالتلبية ٢٩٢٣ (٢ / ٩٧٥) وصححه الألباني.

[١٠] مسند أحمد بن حنبل –٢١٧٢٢ (٥ / ١٩٢).

[١١] سنن أبي داود. باب فِي الرَّجُلِ يُنَادِي بِالشِّعَارِ. ٢٥٩٩ (٢ / ٣٣٨) وصححه الألباني.

ويروى أنه كان شعار المهاجرين: عبدالله، وشعار الأنصار: عبد الرحمن[١٢].

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: "غزونا مع أبي بكر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان شعارنا: أمِت أمِت"[١٣].

كما ورد إطلاق (حرمات الله) والشعائر عائدة إليها، كما في آية الحج السابقة: **{ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ}** في سياق الأمر بتعظيم شعائر الله.

والحرمات جمع حُرمة وهي: ما يلزم تعظيمه، وما لا يحل انتهاكه، مأخوذة من المادة (ح ر م) التي تدل على المنع والتشديد، ويقال: الحرام ضد الحلال. [١٤] وهي ما لا يحل هتكه بل يحترم شرعا، وما يجب احترامه وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن. [١٥] ومنها الأشهر الحرم والمسجد الحرام ومناسك الحج ونحو ذلك، والحرمات أعمّ من الشعائر، والشعائر عائدة إليها.

**معاني شعائر الله في اللغة.**

الإشعار في اللغة الإعلام، والشِّعار العلامة.

---

[١٢] مصنف ابن أبي شيبة(٥٣/٦)، وضعفه الألباني في تخريج المشكاة٣٨٧٦.

[١٣] سنن أبي داود. باب فِي الرَّجُلِ يُنَادِى بِالشِّعَارِ. ٢٥٩٨ (٢ / ٣٣٨).

[١٤] مقاييس اللغة مادة (حرم) (٤٥/٢).

[١٥] ينظر مدارج السالكين (٧٧/٢).

والشعائر: من شعرت بالشيء إذا علمت به[١٦].

قال الأزهري: ولا أدري مشاعر الحج إلا من هذه لأنها علامات له.

وأشعر البدنة أعلمها، وهو أن يشق جلدها، أو يطعنها في أسنمتها في أحد جانبيها بمبضع ونحوه.

**والمشعر** مشتق من الشعور، أي: العِلْم، أو من الشِّعار، وهو العلامة، والشعائر هي المعالم الظاهرة، ووصف هنا بالحرام لأنه من أرض الحرم بخلاف عرفة، وتسمى المشعر الحلال، أو المشعر الأقصى.

والمشعر؛ المعْلَم والمتعبد من متعبّداته، والمشاعر المعالم التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام عليها، ومنه سمي المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع[١٧] ووصف ب(الحرام) لأنه من أرض الحرم.

**والشعيرة:** البَدَنة من بهيمة الأنعام من البدن وغيرها، المهداة. والجمع شعائر، وشعائر الحج مناسكه وعلاماته وآثاره وأعماله.

وعليه فالشعائر والمشاعر اشتقاقها ومعناها واحد وهي العلامات والمظاهر الواضحات مأخوذة من الشعور والإشعار، أي من العِلْم أو العلامة.

أما الشرائع هي الأحكام والسنن المشروعة التي يعظّم بها الله تعالى، وتعظّم بها شعائر الله ومشاعره؛ قال الله تعالى: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ**

---

[١٦] تهذيب اللغة (١ / ٢٦٦).

[١٧] لسان العرب (٤/ ٤١٤).

فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون}[الجاثية:١٨].

**المواطن التي ذكر الله تعالى فيها شعائره وأمر بتعظيمها:**

ذكر الله تعالى تعظيم شعائره عز وجل وحثّ على ذلك في أربعة مواضع من كتابه العزيز:

**١ –** فقال تعالى في سورة البقرة: **{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيم}**[البقرة:١٥٨].

٢– وقال في أول سورة المائدة: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}**[المائدة:٢].

٣– كما ذكرها سبحانه وتعالى في موضعين متتاليين في سورة الحج، وذكرها بلفظ: "حرمات الله" فقال تعالى: **{ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّور*حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيق*ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب* لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيق..}**[الحج:٣٠-٣٣].

٤- إلى أن قال عزّ من قائل كريم: **{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِين}**[الحج:٣٦-٣٧].

## أقوال العلماء في معنى شعائر الله

**ورد في تفسير شعائر الله ثلاثة أقوال:**

أ- فقيل المراد بشعائر الله أوامره وفرائضه، فكل ما أمر الله به ورسوله فهو من الشعائر - الأركان والواجبات والمستحبات العملية والاعتقادية الظاهرة والباطنة -.

ب- وفسرها بعضهم بأنها ما يتعلق بمشاعر الحج والنسك وأعماله فقط كالصفا والمروة والهدي ومنه إشعاره.

ج- ويبدو أن القول الوسط في ذلك هو أن شعائر الله هي المعالم الظاهرة والباطنة من دين الله تعالى الدّالة عليه؛ فهي(كلّ ما جُعل عَلماً لطاعة الله ودينه)[١٨]. قال الحسن : "شعائر الله دين الله"[١٩]، وسئل عطاء عن شعائر

---

[١٨] تاج اللغة وصحاح العرب (٢/٦٩٨).

[١٩] تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٧١).

الله فقال:"حرمات الله، اجتناب سخط الله، واتباع طاعته فذلك شعائر الله"[٢٠]. وعليه؛ فإن شعائر الله تعالى تشمل معالم دينه تعالى الدّالة عليه من أحكام وأقوال وأفعال وأعيان وهيئات وأزمنة وأمكنة، كالتكبير والأذان والصلاة والزكاة والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومشاعر الحج، وغير ذلك من المعالم الظاهرة.

وتدخل مشاعر وشعائر الحج في ذلك دخولاً أولياً، لكنها لا تختص بها لأن الله تعالى ذكر أنها من شعائر الله: **{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ}**[البقرة:١٥٨]. و**{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ }**[الحج:٣٦] فهي بعض منها. والشعائر شاملة للمعالم الظاهرة إذا أرجعنا المصدر للظهور، كما تشمل الباطنة إذا أرجعنا المصدر إلى الشعور وهو العلم، فشعائر الله تعالى عامة في كل ما أشعر الله به عباده وبيّن لهم مكانته وفضله وشرفه وتعبدهم بتعظيمه وأدائه.

**معنى التعظيم لغة واصطلاحاً**

**التعظيم: في اللغة** مصدر عظّم يعظّم تعظيمًا، بمعنى فخمّه وبجّله وأكبره، مأخوذ من المادة (ع ظ م) التي تدور حول معنى الكِبَر والقوة[٢١].

كما تدور حول معنى التفخيم والوقار والمهابة.

---

[٢٠] المصنف لابن أبي شيبة(٤/ ٢٩٥ القسم الأول).

[٢١] مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ع ظ م) (٤/٣٥٥).

وهذه الكلمات الأربع(كبر، وفخم، بجل، وقر) كلها من مرادفات التعظيم.

والعظيم من أسماء الله تعالى، وهو مقارب لاسمه سبحانه الكبير.

**والتعظيم اصطلاحا:** هو التقدير والإجلال القلبي لأمر مّا مع القيام بالعمل بمقتضياته الظاهرة والباطنة؛ فالتعظيم اعتقاد قلبيّ ينشأ عنه عمل.

**والتعظيم الشرعي؛** هو التقدير والهيبة والإجلال القلبي لله تعالى وشرعه الباعث على القيام بمقتضيات ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة.

**المعنى المركب: تعظيم شعائر الله تعالى**

**تعظيم شعائر الله تعالى وحرماته؛** هو التقدير والإجلال القلبي لمعالم الدين الظاهرة والباطنة الدالة عليه، الباعث على القيام بمقتضيات ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة[٢٢].

ويكون ذلك بتوفيتها حقّها من التقدير، وما خصها الله تعالى به من العناية والاحترام، والعمل فيها بما خصّها الله تعالى به من الطاعات والقربات، واجتناب المنهيات والمحرّمات، وعدم الإيثار بالقربات "لأن الغرض من العبادات: التعظيم والإجلال، فمن آثر به، فقد ترك إجلال الإله وتعظيمه"[٢٣].

---

[٢٢] للاستزادة، ينظر: تعظيم شعائر الله تعالى بين الاتباع والابتداع لفضيلة الشيخ: سلطان السفياني، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى١٤٣٤هـ.

[٢٣] الأشباه والنظائر(ص: ١١٦).

والحذر من الانحراف عنها أو عن حدودها إفراطاً وتفريطاً، وحفظها مما يضادّ ذلك من الانتهاك والاستخفاف، ومن التهوين والازدراء، ومن الزيادة والمبالغة والتنطّع والشّطط.

وعليه فالعبودية الحق لله تعالى هي أداء وتعظيم الشعائر والمشاعر بحسب شرائعه تعالى المحكمة.

والدافع لهذا التعظيم هو تعظيم الله تبارك وتعالى؛ فما عظمت شعائر الله تعالى إلا لتعظيمه تعالى وإجلاله ولذلك أضيفت له تعالى.

ويقال: إن أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال هي:( الله أكبر) قال الله تعالى: **{وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}[الإسراء:١١١]**. وهي أكثر جملة يرددها المسلم في اليوم قرابة(٤٠٠مرة) بحسب الاستقراء.

والمتأمل لنصوص الشرع يجد أن الله سبحانه وتعالى قد خص بعض المخلوقات من الأماكن والأزمنة وغيرها بخصائص وأحكام تدل على تعظيمها وتشريفها على غيرها وخصها بعبادات وفضائل تميزها عن غيرها، وتعظيم الله تعالى لها مقتض لتعظيم العباد لها حسبما شرعه الله تعالى؛ فالله عز وجل هو المشرّع ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المبلّغ عن الله عز وجل شرعه.

وإن مما أوجبه الشارع على عباده المؤمنين تعظيم ما عظمه تعالى وتكريم ما كرم سبحانه من هذه الأماكن والأزمنة والهيئات وغيرها وهذه من مقتضيات العبودية التامة الحقة لله تعالى.

وتمييز هذه الشعائر وتفضيلها على غيرها هو تفضيل لأعمال البر فيها

على غيرها، ففي ذلك تحفيز لنفوس أهل الإيمان ليستفيدوا من ميزة البقعة أو الوقت المعين بالإكثار من الطاعات المشروعة واستثمار المكان والزمان فيما يرفع درجة المسلم عند ربه ويكثر من حسناته في صحيفته وهذا ظاهر من جميع ما دلت على النصوص من تفضيل تلك الشعائر الزمانية والمكانية.

ومن الأدلة على وجوب تعظيم ما عظمه الله تعالى وفضّله، وأن التعظيم حق له تعالى وحده ليس لغيره:

**أولاً**: أن من أسمائه تعالى الحسنى ( العظيم )- كما تقدم- وقد سمّى تعالى نفسه بالعظيم في ست آيات من كتاب العزيز، منها ما هو مقرون باسمه (العلي) كما في أعظم آية في كتابه تعالى ( آية الكرسي) حيث ختمها بقوله تعالى **{وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم}[البقرة:٢٥٥]**، وكما في آية الشورى**{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم}[الشورى:٤]**، وورد مقرونا بالأمر بالتسبيح والتنزيه في ثلاث آيات بقوله تعالى: **{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيم}[الواقعة:٧٤]** في موضعين من الواقعة وآخر في الحاقة.

وورد في (١٢) موضعاً وصفاً لما هو منسوب لله تعالى من الفضل والعرش والقرآن..

وورد اسمه تعالى العظيم في السنة في عدة مواضع منها حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعاء الكرب: ((لا إله الا الله العظيم الحليم، لا إله الا الله رب العرش العظيم، لا

إله الا هو رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم))[٢٤].

وورد وصفه تعالى بذي العظمة مقروناً بالكبرياء كما في قوله صلى الله عليه وسلم:((سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة))[٢٥]. وفي قوله تعالى في الحديث القدسي:(( الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار))[٢٦].

ومعنى اسم الله ( العظيم) أي ذو العظمة التي لا حدود لها في الكمال والجمال والجلال.

وهو من الأسماء الدالة على عدة معاني، فهو دال على كمال الله تعالى وجلاله وعظمته في كل شيء؛ في ذاته تعالى وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه، فهو العظيم تعالى في كل معنى يوجب التعظيم.

ومن مقتضيات هذا الاسم ومن تعظيم العظيم سبحانه تعظيم ما عظمه الله تعالى واحترامه من زمان ومكان وأشخاص وأعمال، ومن ذلك تعظيم شعائر دينه وشرعه كالصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة. وغيرها **{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}[الحج:٣٢]**، ومن تعظيمه تعالى اجتناب نواهيه ومراعاة حدوده ومحارمه التي حرمها تعالى في كتابه أو

---

[٢٤] صحيح البخاري ٦٣٤٥ (٨/ ٧٥)، صحيح مسلم ٢٧٣٠ (٤/ ٢٠٩٢).

[٢٥] مسند أحمد ٢٣٩٨٠(٣٩/ ٤٠٥)، سنن أبي داود ٨٧٣ (١/ ٢٣١) وصححه الألباني.

[٢٦] سنن أبي داود ٤٠٩٠ (٤/ ٥٩)، سنن ابن ماجه ٤١٧٤(٢/) مسند أحمد ٧٣٨٢ (١٢/ ٣٣٧) وبنحوه عند مسلم ١٨٠ (١/ ١٦٣).

سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

**ثانياً:** ومن الأدلة قول الله عز وجل: **{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون}[القصص:٦٨]**.

فدلت الآية الكريمة على انفراده تعالى باختيار من يختاره ويختصه بالتفضيل والتشريف من الأشخاص والأزمان والأماكن على مقتضى حكمته تعالى.

وأن منازعته تعالى في هذا الاختصاص بتعظيم مالم يعظمه الله أو تعظيمه بغير ما شرع الله من الشرك الذي ينزّه الله تعالى عنه ولذلك ذيل الآية بقوله عزوجل: **{سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون}[القصص:٦٨]** وهذه الآية على نحو قول الله عز وجل:**{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير}[الحج:٧٥]** فالاصطفاء والاختيار خاص بالله سبحانه وتعالى، فكما يصطفي من شاء من خلقه لحمل رسالته وتبليغها فهو سبحانه وتعالى أيضا يصطفي من الأماكن والأزمان وغيرها ما هو أهل للتعظيم والتبجيل والتخصيص بأنواع من العبادة لله تعالى، وهو تعالى أعلم بما يصلح لذلك، وعليه؛ فإن اعتماد تعظيم مكان أو زمان وتقديسه لا يصح ولا يثبت إلا إذا كان هناك نص من الشرع يدل على هذا التخصيص والتفضيل وحسب الكيفيات التي شرع الله بها التعظيم.

**ثالثا:** قوله تعالى: **{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ} [الحج:٣٠]** وحرمات الله هي كل ما له حرمة وأمر تعالى باحترامه من

عبادات وغيرها كالمناسك كلها وكل الحرم الإحرام والهدايا والعبادات التي أمر الله العباد القيام بها.

**رابعا:** قوله تعالى: **{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}[الحج:٣٢]** وهذه الآية وإن نزلت في تعظيم شعائر الله في الحج فهي عامة كالآية قبلها في تعظيم كل ما أمر الله تعالى بتعظيمه وتبجيله واحترامه، والقيام بحق الله تعالى فيه كما تقدم. وجعل الله تعالى ذلك من علامات تقوى القلوب ودلائل إنابتها وخضوعها لله تعالى.

فهاتان الآيتان صريحتان في وجوب التعظيم والتبجيل والتفخيم لكل ما أمر الله بتعظيمه وأوجب على العباد رعايته والعناية به من مكان أو زمان أو شخص أو حال.

وإذا تقرر أن الاصطفاء والاختيار للأماكن والأزمان والهيئات وغيرها إلى الله تعالى لا إلى غيره، وأن الله تعالى أوجب على العباد تعظيم وتوقير ما أمر بتعظيمه وما اصطفاه على غيره؛

فإن هذا يقتضي معرفة هذه الشعائر المطلوب تعظيمها، **وأن ذلك يكون بواحدة مما يلي:**

١- أن يرد النص على أنها من الشعائر وقد ورد تسمية بعض الأماكن أنها من شعائر الله فتكون هذه الأماكن مما يجب على العباد تعظيمه و تقديسه كما في قوله تعالى:**{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ }[البقرة:١٥٨]**وقوله عز وجل: **{فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ**

**الْحَرَامِ}[البقرة:١٩٨]** وقوله عز وجل: **{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ}[الحج:٣٦]** فهذه كلها قد ورد النص على أنها من شعائر الله التي يجب تعظيمها وتبجيلها.

٢- أن يرد النص على أنها حرام كقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ}[المائدة:٢]** فأطلق الله عز وجل في هذه الآيات على بعض المشاعر بأنها حرم مثل مكة والمدينة والمسجد الحرام، والبيت الحرام والأشهر الحرم، ونحوها مما دلت عليها النصوص الصريحة على أنها من حرمات الله وشعائره الواجب تعظيمها وتفخيمها لأمر الله تعالى بذلك.

٣-ما أمر الله عز وجل برعاية والعناية به وتعظيمه كالمساجد كما في قول الله عز وجل: **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ*رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ}[النور:٣٧-٣٦]** ومعنى ترفع أي: تعظم وتكرم[٢٧].

٤- أن يخصها بأحكام وأعمال تدل على تفضيلها وتميزها على ما كان من جنسها كصوم رمضان وليلة القدر ويوم الجمعة وغيرها.

وسيأتي تفصيل ذلك وبيان الصور المشروعة لتعظيمها..

---

[٢٧] تفسر الطبري (١٨/ ١٤٤).

**أنواع شعائر الله:**

تتنوع الشعائر بحسب طبيعتها إلى شعائر زمانية وهي المرتبطة بأزمنة معيّنة خصها الله تعالى بفضائل وعبادات وميزات عن سائر الأزمنة، وإلى شعائر مكانية وعينية اختصها الله تعالى من بين البقاع والأمكنة والأعيان بمثل ذلك، وقد تجتمع تلك الشعائر زمانا ومكانا، كما يجمعها التعظيم والإجلال والتعبد لله تعالى من خلالها، ومنها أعمال تعبدية ظاهرة صارت شعاراً للإسلام وأهله، ومنها هيئات ومظاهر تدل على الدين وأهله يتميزون بها عن غيرهم وتكون علامات ظاهره دالة على ديانة العبد وانتمائه، ومن أبرز هذه الشعائر:

**الفصل الثاني: الشعائر الزمانية وتعظيمها**

من حكمة العليم الخبير أن فضّل عز وجل بعض الأزمان على بعض، وجعل مما اختاره من هذه الأزمان مواسم فاضلة شرع لها بعض العبادات المناسبة له لمزيد التقرب إلى الله تعالى وزيادة الإيمان به تعالى وتحقيق العبودية الخالصة له سبحانه يتنافس فيها المتنافسون ويجتهد فيها المسارعون إلى الخيرات.

فما من موسم من هذه المواسم الفاضلة إلا ولِلَّهِ تعالى فيه وظيفةٌ من وظائفِ طاعاتِهِ، يتقرَّبُ بها إليه، ولِلَّهِ فيه لطائف من لطائفِ نفحاتِهِ، يُصيبُ بها من يعودُ بفضلِهِ ورحمتِهِ عليه؛ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: "فالسعيدُ من اغتنمَ مواسمَ الشهورِ والأيامِ والسَّاعاتِ، وتقرَّبَ فيها إلى مولاهُ بما فيها من وظائفِ الطَّاعاتِ، فعسى أن تصيبَهُ نفْحةٌ من تلكَ النَّفحاتِ، فيسعدُ بها سعادةً يأمَنُ بعدَها من النَّارِ وما فيه من اللَّفَحَاتِ" (٢٨).

وتعظيم شعائر الله تعالى -كما تقدم - من أكبر وأهم أسباب وجل القلوب: (فكل ماعظَّمه الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو عظيمٌ، وتعظيمه علامة صلاح القلب، وقد أَورَث الله من عظَّم شعائره؛ التقوى في قلبه، قال تعالى: ﴿ذلِكَ وَمَن يُعَظِّم شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِن تَقوَى القُلوبِ﴾[الحج: ٣٢].

(٢٨) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٣٢).

**ومن أبرز هذه الشعائر المعظمة والمواسم الفاضلة:**

**١-شهر رمضان**

قال تعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}**[البقرة:١٨٥]. فهذا شهر معظم، خصه الله تعالى بخصائص ليست في غيره من الشهور والأزمنة، أنزل الله تعالى فيه كتابه العزيز وجعل صيامه ركنا من أركان الإسلام العظام، وجعل قيامه من أجل القربات؛ فشرع الله تعالى تعظيمه بصيامه وقيامه والتقرب بالطاعات فيه، قال صلى الله عليه وسلم: ((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذبه)) [٢٩] و((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))[٣٠].

وفيه ليلة القدر قال تعالى: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْروَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْر لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْر تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْر سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْر}**[القدْر:١-٥]. ولأجل هذا

---

[٢٩] صحيح البخاري ٣٨(١/ ١٦)؛ صحيح مسلم ٧٦٠(١/ ٥٢٣).

[٣٠] صحيح البخاري ٣٧(١/ ١٦)؛ صحيح مسلم٧٥٩(١/ ٥٢٣).

التعظيم شرع قيامها فقال صلى الله عليه وسلم: ((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)) [٣١] وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان تحريًّا لليلة القدر.

**٢-الأشهر الحرم**

سميت حرما لزيادة حرمتها وتحريم القتال فيها، قال تعالى:**{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِين}**[التوبة:٣٦].

والضمير يُحتمل رجوعه إلى الاثني عشر، أو إلى الأربعة، وهو الأقرب؛ لعوده إلى أقرب مذكور، ولتخصيص التشريف والتحريم وإلا لم يكن لذكرها معنى، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى، وشعبان))[٣٢].

ونُهي عن الظلم فيها خصوصاً مع النهي عن الظلم في كلّ وقت لزيادة تحريمها وتعظيمها، وكون الظلم فيها أشدّ منه في غيرها؛ لأنّه إذا عُظّم الزمان

---

[٣١] صحيح البخاري١٩٠١(٣/ ٢٦)؛صحيح مسلم ٧٦٠(١/ ٥٢٤).

[٣٢] صحيح البخاري٤٦٦٢(٦/ ٦٦).

عظم الذنب فيه أكبر من غيره

وقد دلت هذه الآية الكريمة والحديث الشريف على أن الأصل في التقويم والحساب هو الحساب بالأشهر القمرية الذي عليه التقويم الهجري، قال تعالى:{ **فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ**}[التوبة:٣٦]ولذا علقت بها العبادات من صيام وحج وزكاة وغير ذلك من العبادات قال تعالى:{ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**}[البقرة:١٨٩] والهلال هو القمر. فالالتزام بها وإظهارها والعمل بها من تعظيم شعائر الله" دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط، وإن لم تزد على اثني عشر شهرا لأنها مختلفة الأعداد"[٣٣] وزمانها غير متفق مع الأشهر الهجرية الهلالية الإسلامية التي ارتبط بها تعظيم الزمان دون غيرها حصرا.

فالواجب على أهل الإسلام في كل مكان الاعتزاز بتاريخهم (القمري) العظيم الذي اختاره الله لهم من فوق سبع سماوات؛ بل هو التاريخ المعتمد في الشرائع السابقة بدليل الآية آنفة الذكر.

وبدليل صيام يوم عاشورا القمري الذي وجد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يصومونه عندما دخل المدينة فسألهم عنه، فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى وقومه وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، فصامه موسى شكراً لله ونحن نصومه، فقال صلى الله عليه وسلم: ((أنا أحق بموسى منكم. فصامه

---

[٣٣] تفسير القرطبي (٨/ ١٣٣).

وأمر الناس بصيامه))[٣٤].

وبناءً على الأشهر القمرية كان التاريخ الهجري العظيم المرتبط ارتباطاً وثيقاً بنقطة التحول العظيم في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة ورسالته الخالدة وهجرته العظيمة من دار الكفر والجاهلية وقيمها وعادتها وثقافتها وظلامها إلى دار الإسلام ونوره وقيمه وأخلاقه في المدينة النبوية، وتأسيس دولة الإسلام الخالدة التي عمّ نورها الكرة الأرضية وتنعمت بها البشرية، وخرج بها من اصطفاه الله تعالى من عباده من دياجير الظلم والجهل والخرافة إلى نور الهدى والعلم والقرآن والإسلام.

فالواجب على المسلمين الثبات على تاريخهم الهجري والاعتزاز به، فلا نُؤرخ أيامنا ولياليا إلا به، فهذا ما اختاره الله تعالى لنا، وبنيت عليه كثير من أركان الإسلام وشرائعه العظام كرمضان والحج والعدد والكفارات وغيرها، وفي ذلك من المصالح الدينية والدنيوية ما لا تخفى على ذوي العلم والبصيرة.

وعلينا الحذر من التقليد والتبعيّة لمن حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من اتباع سننهم والتشبه بهم، كما علينا الاعتزاز بقيمنا وتاريخنا وهويتنا الإسلامية التي شرفنا الله بها.

مع أنه عند الحاجة لا يمنع من استخدام التاريخ الميلادي أو غيره من التواريخ مرادفاً للتاريخ الهجري لتحقيق المصالح المشروعة التي راعاها الإسلام

---

[٣٤] صحيح البخاري ٢٠٠٤(٣/ ٤٤).

في جميع أحكامه وشرائعه.

وهذه الأشهر من الأشهر المعظمة عند الله تعالى، ومن الحكمة أن يبدأ العام الهجري بشهر حرام ويتوسطه شهر حرام ويختم بشهر حرام، فهي ثلاثة مواسم لينشط الكسِل ويفيء الشارد وينتبه الغافل، ويتوب المسرف إلى الله تعالى.

قال بعض أهل العلم: لعل الحكمة في جعل المحرم أول السنة؛ أن يحصل الابتداء بشهر حرام، ويختم بشهر حرام، ويتوسط بشهر حرام وهو رجب، وإنما توالى شهران في الآخر لإرادة تفضيل الختام، ولهذا نظائر كثيرة في العبادات... والعلم عند الله تعالى الحكيم الخبير.

**وخصّ من الأشهر الحرم:**

**شهر الله المحرّم**، رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في صيامه؛ فكان في الفضل بعد رمضان، قال صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الصيام، بعد رمضان، شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة، بعد الفريضة، صلاة الليل))[٣٥].

**وفيه يوم عاشوراء** الذي أنجى الله فيه موسى عليه السلام من فرعون وقومه، فصام موسى عليه السلام شكراً لله تعالى، وصامه يهود، وصامته الأمم السابقة، وكانت قريش تصومه في الجاهلية، وصامه الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة، فلما قدم المدينة وجد اليهود أيضا يصومونه، وأمر

---

[٣٥] صحيح مسلم ١١٦٣(٢/ ٨٢١).

بصيامه، وقال صلى الله عليه وسلم:((نحن أولى بموسى منكم، ثم أمر بصومه))[٣٦]، وقال صلى الله عليه وسلم: (( أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله))[٣٧] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ((ما رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يَتَحَرّى صِيامَ يَومٍ فَضَّلَهُ على غيرِهِ إلّا هذا اليَومَ؛ يَومَ عاشُوراءَ، وهذا الشَّهْرَ. يَعْنِي شَهْرَ رَمَضانَ))[٣٨]. وأمر بمخالفة اليهود؛ وذلك بصيام يوم قبله أو يوم بعده[٣٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع))[٤٠]؛ وذلك منه صلى الله عليه وسلم إمعاناً في مخالفة يهود حتى في صورة الفعل المشروع[٤١].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:( نحن أولى بموسى منكم..) يبيّن صلى الله عليه وسلم أنَّه أحَقُّ بمُوسَى مِنهم، كما قال في شأن المسيح عليهم جميعا السلام فقال: ((أنا أولى الناس بابن مريم..))[٤٢]؛ فهما أخوان أخَوانِ في النُّبوَّةِ، ولأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أطوَعُ وأتْبَعُ للحقِّ منهم، فهو أحَقُّ أنْ يَشكُرَ اللهَ تعالَى على نَجاةِ مُوسى عليه السَّلامُ، ولذلك صامَهُ

---

[٣٦] صحيح البخاري ٣٩٤٣(٥/ ٧٠)؛ صحيح مسلم ١١٣٠(٢/ ٧٩٥).

[٣٧] صحيح مسلم ١١٦٢(٢/ ٨١٨).

[٣٨] أخرجه البخاري(٢٠٠٦)واللفظ له، ومسلم (١١٣٢).

[٣٩] مسند أحمد ٢١٥٤(٢/ ٥٤٦)؛ صحيح ابن خزيمة٢٠٩٥(٣/ ٢٩٠).

[٤٠] صحيح مسلم ١١٣٤(٢/ ٧٩٨).

[٤١] فتح الباري(٤/ ٢٤٨).

[٤٢] صحيح البخاري٣٤٤٢(٤/ ١٦٧)، صحيح مسلم٢٣٦٥(٤/ ١٨٣٧).

صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأَمَرَ المسلِمينَ بصِيَامِه؛ لأنَّنا -نَحنُ المسلِمينَ- أوْلَى بِحبِّ مُوسى عليه السَّلامُ ومُوافقَتِه مِنَ اليهودِ، حيثُ إنَّهم بَدَّلوا شَريعتَه وحَرَّفوها، ونحنُ أتْباعُ الإسلامِ الَّذي هو دِينُ كلِّ الأنبياءِ عليهم السلام.

وقد وردت روايات أخرى في سبب تعظيم عاشوراء وهو استواء سفينة نوح عليه السلام على الجوديّ ونجاته ومن معه من الغرق(٤٣)، وقيل غير ذلك.

وفي يوم عاشوراء يتجلى للمسلمين فيه كل عام مشهدان عظيمان:

**الأول**: مشهد نصرة الله لأوليائه المؤمنين وانتقامه من أعدائه الظالمين.

**الآخر**: أن نعم الله المتكاثرة وآلائه المتتالية تقتضي دوام شكره سبحانه وتعالى.

فالواجب الجزم واليقين بنصر الله لعباده المؤمنين وانتقامه تعالى من الطغاة الظالمين.

كما يجب شكر الله تعالى على آلائه ونعمه التي لا تحصى قولاً **{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور}[سبأ:١٣]**.

وتعظيم هذا اليوم إنما هو بصيامه فقط مع حفظ حرمته وتعظيم زمانه الفاضل.

ولذا كان السلف يحرصون على صيامه؛ فعن معاذ بن صالح أن أبا جيلة

---

(٤٣) مسند أحمد-وسنده ضعيف- ٨٧١٧(١٤/ ٣٣٥) وينظر: تفسير ابن كثير(٤/ ٣٢٤).

حدثه قال: كنت مع ابن شهاب الزهري -رحمهم الله تعالى -في سفر وصام يوم عاشوراء، فقيل له لِمَ تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر؟ قال: إن رمضان له عدة من أيام أُخر وأن عاشوراء يفوت(٤٤).

كما أن من تعظيم شعائر الله تعالى في هذا اليوم مخالفة المشركين والمغضوب عليهم والضالين في شعائرهم التعبدية في هذا اليوم وفي غيره من الشعائر التعبدية كما هو واضح جلي في شعيرة الحج وفي غيرها.

أما الرافضة فيجعلونه يوم حزن ومأتم ونياحة لمقتل الحسين رضي الله عنه، وقوبلت هذه البدعة ببدعة أخرى، فابتدع قوم فيه الاغتسال والاكتحال والتوسيع على العيال وإظهار السرور، قال شيخ الإسلام: "والأشبه أن هذا وضع لما ظهرت العصبية بين الناصبة والرافضة؛ فإن هؤلاء اتخذوا هذا اليوم مأتماً، ووضع أولئك فيه آثارا تقتضي التوسع فيه واتخاذه عيدا، وكلاهما باطل"(٤٥).

**٣-أشهر الحج.**

وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، كما عند الجمهور، وسميت أشهر الحج؛ لأنها التي يقع فيها الإحرام بالحج غالبا، قال تعالى:**{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ**

---

(٤٤) سير أعلام النبلاء (٣٤٢٥).

(٤٥) اقتضاء الصراط المستقيم(١٣٢/٢).

**فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَاب}**[البقرة:١٩٧].

وتعظيمها بأداء شعيرة الحج فيها، واختلف العلماء، هل ينعقد الإحرام بالحج في غيرها؟ والظاهر المنع، ولئلّا يكون المعتمر في غيرها متمتعا. قال ابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: هو شرط، فلا يصح الإحرام بالحج إلا فيها(٤٦).

وفي قوله تعالى: **{ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}**[البقرة: ١٩٧]، قال الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي رحمه الله تعالى:"والمقصود من الحج: الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه يكون بذلك مبرورا، (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، وهذه الأشياء – وإن كانت ممنوعة في كل زمان ومكان – فإنه يتأكد المنع منها في الحج.

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر، فلهذا أتبعه بقوله:{وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ}"(٤٧).

**٤–عشر ذي الحجة.**

وهذه العشر هي التي قال الله تعالى فيها: **{ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ}[الحج:٢٧]** وقال الله تعالى: **{وَالْفَجْرِ*وَلَيَالٍ عَشْرٍ}[الفجر:١–٢]** فذهب جمهور أهل العلم إلى أنها عشر ذي الحجة،

---

(٤٦) فتح الباري(٤/٤٥٣).

(٤٧) تيسير اللطيف المنان (ص١٠١).

بل نقل ابن جرير رحمه الله الإجماع على ذلك فقال: "هي ليالي عشر ذي الحجة، لإجماع الحُجة من أهل التأويل عليه"[٤٨].

وقال ابن كثير: "والليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباسٍ وابن الزبير ومُجاهد وغير واحدٍ من السلف والخلف "[٤٩].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "قد تضمن القسَم المناسك والصلوات وهما المختصان بعبادة الله، والخضوع له، والتواضع لعظمته.." [٥٠].

وأجيب عن الحكمة من التعبير بالليالي عن الأيام؛ بأنه قد تطلق الليالي ويراد بها الأيام، والأيام يراد بها الليالي واللغة واسعة، والغالب في ألسنة الصحابة والتابعين غلبة الليالي للأيام، حتى إن من كلامهم: "صمنا خمسا" يعبرون به عن الليالي، وإن كان الصوم في النهار. والله أعلم.

كما نص على ذلك جمع من العلماء منهم ابن العربي في "أحكام القرآن"، وابن رجب في "لطائف المعارف"[٥١].

وذهب بعض العلماء وهو مروي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن المراد بالليال العشر: هي ليالي عشر رمضان الأخيرة، فقالوا: لأن ليالي العشر الأخيرة من رمضان فيها ليلة القدر التي قال الله عنها: **{لَيْلَةُ الْقَدْرِ**

---

[٤٨] تفسير ابن جرير (٧/٥١٤).

[٤٩] تفسير ابن كثير (٤/٥٣٥).

[٥٠] التبيان في أيمان القرآن(٤٣).

[٥١] أحكام القرآن( ٤/ ٣٣٤ )، لطائف المعارف( ٤٧٠ ).

**خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}[القدْر:٣]**، وقال : **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ*فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}[الدخان:٣-٤]** وقد اختار هذا القول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: لأنه الموافق لظاهر الآية[٥٢].

ولذا قالوا في التفضيل بين العشر الأواخر من رمضان وعشر ذي الحجة؛ بأن: العشر الأواخر من رمضان أفضل من جهة الليل؛ لأن فيها ليلة القدر، والعشر الأول من ذي الحجة أفضل من جهة النهار؛ لأن فيها يوم عرفة، وفيها يوم النحر، وهما أفضل أيام الدنيا، قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: "هذا هو المعتمد عند المحققين[٥٣] من أهل العلم، فعشر ذي الحجة أفضل من جهة النهار، وعشر رمضان أفضل من جهة الليل؛ لأن فيها ليلة القدر وهي أفضل الليالي، والله المستعان"[٥٤].

وقد عظّمت هذه العشر لاشتمالها لعبادات لا تجتمع في غيرها، ففيها عقد الحج الذي اختصت به، والنحر والصدقة والصيام وذكر الله تعالى وغيرها.

ومن شعائر التعظيم في هذه الأيام المباركة ما يلي:

التكبير، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أيام العشر قال: وكان ابن

---

[٥٢] تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص: ١٦٩).

[٥٣] ومنهم شيخ الإسلام ابن تيميه. ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٤٧٧)، وابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ١٦٢)، والحافظ ابن رجب في لطائف المعارف ص( ٢٦)، والحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٤٦٠)، والشوكاني في نيل الأوطار (٤/ ٢٦٩). وينظر كلام القرطبي في الجامع (٢٠/ ٤٥) حيث أشار إلى هذا الجمع بين النصوص.

[٥٤] فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٦/ ٤٤٩).

عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما. قال: وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا[٥٥]. قال الخطابي رحمه الله تعالى: "حكمة التكبير في هذه الأيام؛ أن الجاهلية كانوا يذبحون لطواغيتهم فيها؛ فشرع التكبير فيها إشارة إلى تخصيص الذبح له وعلى اسمه عز وجل"[٥٦]. والله أعلم.

أ- الاجتهاد في العمل الصالح قال صلى الله عليه وسلم: (( ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام)) يعني: أيام العشر، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله. قال: ((ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء))[٥٧].

ب- ومِن تعظيمها أن من أراد أن يضحّي فلا يأخذ من بشرته شيئا، لما روته أم سلمة رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذي الحجة، فلا يأخذن من شعره، ولا من أظفاره شيئا حتى يضحي)) [٥٨]ويستثنى من ذلك من اعتمر في العشر أو رمى

---

[٥٥] صحيح البخاري-تعليقا-(٢/ ٢٠).

[٥٦] فتح الباري(٢/ ٤٦١).

[٥٧] صحيح البخاري ٩٦٩(٢/ ٢٠).

[٥٨] صحيح مسلم ١٩٧٧(٣/ ١٥٦٦)

الجمرة فإنه يقصر من رأسه أو يحلقه لأنه نسك مستقل، لكن لا يأخذ من أظفاره وبقية شعره حتى يضحّي، فإذا رمى الحاج فإنه يأخذ من أظفاره وشعره نسكًا بغضّ النظر عن موعد ذبح أضحيته.

ت- ومن تعظيم هذه العشر أن فيها أياماً هي أعظم الدنيا ففيها:

**الأول: يوم عرفة**[٥٩]، وفيه قالت عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء))[٦٠].

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب))[٦١].

ومن تعظيمه كثرة الدعاء لله تعالى والتضرع، وأفضله كلمة التوحيد، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت

---

[٥٩] هو التَّاسع من ذي الحجَّة: قَالَ ابنُ فارِسٍ: أَمَّا عَرفاتٌ فَقَالَ قَومٌ: سُمِّيَتْ بذلِكَ لأنَّ آدَمَ وحَوّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَام تَعارَفا بهَا بعدَ نُزُولِهما من الْجَنَّة.

أَو لِقَوْلِ جِبْرِيلَ لإبراهيمَ عَلَيْهِمَا السلامُ لما عَلَّمَه المناسِكَ وأَراهُ المشاهِدَ: أَعَرَفْت؟ أَعَرَفْتَ؟ قالَ: عَرَفْتُ عَرَفْتُ. أَو لِأَنَّهَا مُقدَّسَةٌ مُعَظَّمَةٌ، كأَنَّها عُرِّفَتْ أَي: طُيِّبَتْ. وقِيلَ: لأَنَّ الناسَ يَتَعارَفُونَ بهَا. زادَ الرَّاغِبُ: وَقيل: لِتعَرُّفِ العِبادِ فِيهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى بالعِباداتِ والأَدْعِيَةِ. تاج العروس (٢٤/ ١٣٧).

[٦٠] صحيح مسلم ١٣٤٨(٢/ ٩٨٢).

[٦١] رواه أبو داود ٢٤١٩(٢/ ٣٢٠)؛والترمذي-وصححه- ٧٧٣(٣/ ١٣٥)؛والنسائي في السنن ٣٠٠٤(٥/ ٢٥٢) واللفظ لهم. وأحمد-باختلاف يسير-١٧٣٧٩(٢٨/ ٦٠٥).

أنا والنبيون قبلي: لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير))[٦٢].

وفضل الدعاء يوم عرفة ليس خاصاً بمن كان في عرفة من الحجاج فقط، بل الراجح أنه عام لجميع المسلمين وأن الفضل لليوم، ولا شك أن من كان على عرفة فقد جمع بين فضل المكان وفضل الزمان.

لكن الاجتماع للذكر والدعاء في المساجد يوم عرفة، لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان الإمام أحمد لا يفعله، وكان يرخص فيه ولا ينهى عنه لوروده عن بعض الصحابة، كابن عباس وعمرو بن حريث رضي الله عنهم[٦٣] فمن اعتاد الجلوس بعد العصر في المسجد لورعه فلا يترك ذلك اليوم مخافة الوقوع في البدعة، بل هذا الترك والإنكار أقرب ما يكون إلى البدعة.

وقال شيخ الإسلام في رسالة: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: "وتعريف ابن عباس بالبصرة وعمرو بن حريث بالكوفة، فإن هذا لما لم يكن مما يفعله سائر الصحابة، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شرعه لأمته، لم يمكن أن يُقال: هذا سنة مستحبة، بل غايته أن يُقال: هذا مما ساغ فيه اجتهاد الصحابة، أو مما لا يُنكَر على فاعله؛ لأنه مما يسوغ فيه الاجتهاد، لا لأنه سنة مستحبة سنَّها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، أو يُقال في التعريف: إنه

---

[٦٢] موطأ مالك ٣٢(١/ ٢١٥)؛ سنن الترمذي -وحسنه الألباني- ٣٥٨٥ (٥/ ٥٧٢).

[٦٣] المغني لابن قدامة (٢/ ١٢٩).

لا بأس به أحيانًا لعارض إذا لم يجعل سنة راتبة، وهكذا يقول أئمة العلم في هذا وأمثاله: تارة يكرّهونه، وتارة يسوغون فيه الاجتهاد، وتارة يرخصون فيه، إذا لم يُتَّخذ سنة"[٦٤].

ومن تعظيمه المشروع صيامه لغير الحاج فعن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده))[٦٥].

وفيه أنزل الله سبحانه على نبيّه صلى الله عليه وسلم البشارة العظمى بأعظم نعمة على البشرية في قوله تعالى: **{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}**[المائدة:٣].

فعن طارق بن شهاب قال: قال رجل من اليهود- يقال إنه كعب الأحبار، قبل إسلامه- لعمر: آيَةٌ في كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا، لو عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذلكَ اليومَ عِيدًا. قالَ: أيُّ آيَةٍ؟ قالَ: {اليومَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ علَيْكُم نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] قالَ عُمَرُ: قدْ عَرَفْنَا ذلكَ اليَومَ، والمكانَ الذي نَزَلَتْ فيه علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وهو قَائِمٌ بعَرَفَةَ يَومَ جُمُعَةٍ[٦٦].

**الثاني: يوم النحر**. وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وأول أيام عيد

---

[٦٤] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٢٢٣).

[٦٥] صحيح مسلم ١١٦٢(٢/ ٨١٨).

[٦٦] صحيح البخاري ٤٥(١/ ١٨)؛صحيح مسلم٣٠١٧(٤/ ٢٣١٢).

الأضحى، وهو يوم الحج الأكبر. ومن بعد فجر يوم النحر يقطع الحاج شعيرة التلبية، ويبدأ بشعيرة التكبير، وهما شعيرتان عظيمتان من شعائر الله.

ويشارك في التكبير غير الحاج وذلك إلى آخر أيام التشريق.

وسمي يوم النحر لكثرة ما يُنْحَر فيه من الهدايا والضَّحايا تقرُّبًا إلى الله تعالى.

ويوم الحج الأكبر لأن أكثر أعمال الحج فيه، وهي: رمي جمرة العقبة والنحر والحلق أو التقصير، وطواف الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة، وهذه الأعمال يجوز التقديم والتأخير بينها لقوله صلى الله عليه وسلم للصحابي: ((افعل ولا حرج))[٦٧] كما يجوز تأخير بعضها إلى الأيام التالية، وهذا من تيسير الله على عباده، وفي هذا اليوم يتمم الحاج أركان حجه، وهو يوم عظيم الفضل عند الله تعالى حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم فضله على يوم عرفة، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر..))[٦٨] والأظهر أنها عن إطلاقها، وعليه فيوم القر – وهو اليوم الحادي عشر– أفضل من عرفة والعلم عند الله.

**٥–أيام التشريق**

وهي من شعائر الله تعالى المعظمة. وهي اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من ذي الحجة.

---

[٦٧] صحيح البخاري ٨٣(١/ ٢٨)؛صحيح مسلم١٣٠٦ (٢/ ٩٤٩).

[٦٨] رواه أبوداود (١٧٦٥) وأحمد (١٩٠٧٥) وصححه الألباني.

أولها: وهو أفضلها، يسمى (يوم القر) لاستقرار الناس في منى[٦٩]، قال في فضله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ)).

وثانيها: يوم النفر الأول.

والثالث: يوم النفر الثاني، وتنتهي بغروب شمس اليوم الثالث عشر، وبه ينتهي وقت النحر والمبيت في منى والرمي.

وقد بوب البخاري رحمه الله تعالى باب: فضل العمل في أيام التشريق. وذكر تحته حديث ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ)). قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: ((وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ))[٧٠].

وظاهره أن العمل في أيام التشريق أفضل من عشر ذي الحجة، واستشكل كثير من العلماء ذلك، والجمهور على أن المراد العمل في عشر ذي الحجة، كما تقدم[٧١].

وقال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "وسرّ كون العبادة فيها أفضل من غيرها أن العبادة في أوقات الغفلة فاضلة على غيرها، وأيام التشريق أيام غفلة

---

[٦٩] قَالَ أَبو عُبَيْد: "سُمِّي بِيوم القَرِّ؛ لأَنَّ أَهْلَ المَوْسِم يَوْم التَّرْوِيَةِ ويومَ عَرَفةَ ويومَ النَّحْر فِي تعَبٍ من الحَجِّ، فإِذا كانَ الغَدُ مِن يوْمِ النَّحْرِ قَرُّوا بمِنىً، فسُمِّيَ يَوْمَ القَرِّ". غريب الحديث (٣/ ٤١٩).

[٧٠] تقدم تخريجه.

[٧١] ينظر: فتح الباري(٢/ ٢٠).

في الغالب فصار للعابد فيها مزيد فضل على العابد في غيرها، كمن قام في جوف الليل والناس نيام.." [٧٢].

وهي التي قال الله تعالى فيها: **{وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُون}[البقرة:٢٠٣]** قال ابن سعدي رحمه الله: " وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده، في إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين، فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة.

ولما كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور وفي غيره، والحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر فقط قيده بقوله: {لِمَنِ اتَّقَى} أي: اتقى الله في جميع أموره، وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه في شيء دون شيء، كان الجزاء من جنس العمل"[٧٣].

وذهب بعضهم إلى أن معنى {لا إثم عليه} يعني قد غُفر له ذنبه، فمن تعجّل فقد غُفر له، ومن تأخر فقد غفر له، واحتجّوا بقوله صلى الله عليه وسلم:((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من خطاياه كيوم ولدته أمه))[٧٤] والأوّل أظهر وعليه الجمهور، والعلم عند الله.

---

[٧٢] فتح الباري(٢/ ٤٥٩).

[٧٣] تفسير السعدي (ص: ٩٣).

[٧٤] صحيح البخاري ١٥٢١(٢/ ١٣٣)، صحيح مسلم ١٣٥٠(٢/ ٩٨٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى)) [٧٥]؛ ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صيامها إلا للحاج الذي لم يجد الهدي ففي البخاري عن عائشة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم قالا: ((لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي))[٧٦].

وسميت أيام التشريق لأن الحجاج يقدّدون لحوم الهدي، ويجعلونها شرائح ويجففونها في الشمس لحفظها.

**٦-عيد الفطر وعيد الأضحى**

فهذان العيدان من شعائر الله التي ينبغي إحياؤها، وإدراك مقاصدها، واستشعار معانيها، وتعظيمها بما أمرنا الله تعالى به من تعظيم وتخصيص.

وهما يومان، اختص المسلمون بها دون غيرها من أعياد الكفار والمشركين، لما روى أنس رضي الله تعالى عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه سولم ولهما يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر)) [٧٧].

ومن مظاهر التعظيم والتخصيص لهذين اليومين ما يلي:

أ- صلاة العيدين في هذين اليومين وما يتعلق بهما من السنن والآداب من

---

[٧٥] موطأ مالك ١٣٥(١/ ٣٧٦)؛ صحيح مسلم ١١٤١(٢/ ٨٠٠).

[٧٦] صحيح البخاري١٩٩٧(٣/ ٤٣).

[٧٧] سنن أبي داود، -وصححه الألباني- ١١٣٤(١/ ٢٩٥).

الاغتسال والتجمل لهما بلبس أحسن الثياب وغيرها، والحث على شهود الجمع لتلك الصلاة التي يجتمع فيها المسلمون بما في ذلك النساء ذوات الأعذار قال صلى الله عليه وسلم: ((**يخرج العواتق وذوات الخدور، أو العواتق ذوات الخدور، والحُيَّض، وليشهدن الخير، ودعوة المؤمنين، ويعتزل الحُيَّض المصلى**))[٧٨].

ب- التكبير لقوله تعالى في الفطر: **{وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}**[البقرة:١٨٥]. وفي الأضحى: **{وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُون}[البقرة:٢٠٣]**وتقدم الكلام عليها في الكلام على يوم النحر.

ومن صيغ التكبير ما رواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه كان يكبر أيام التشريق: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد[٧٩].

قال البقاعي رحمه الله تعالى عن التكبير: "ومن أعظم أسراره أنه لما كان العيد محل فرح وسرور، وكان من طبع النفس تجاوز الحدود لما جبلت عليه من الشرَه؛ تارة غفلة، وتارة بغياً؛ أُمر فيه به ليذهب من غفلتها، ويكسر من

---

[٧٨] صحيح البخاري ٣٢٤(١/ ٧٢).

[٧٩] مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٤٩٠).

سورتها"[٨٠].

جـ- التهنئة: وإظهار السرور والتوسعة على العيال واللهو المباح، وهي من آداب العيد، وعند حصول ما يسر ويفرح، فعن جبير بن نفير قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك[٨١] أو نحوها من العبارات.

ويشرع في العيد التوسعة على العيال بـ"أنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة، وأن الإعراض عن ذلك أولى.. وإظهار السرور في الأعياد من شعائر الدين"[٨٢].

وفيه يتبادل الناس الهدايا ويصنعون الطعام ويدعو بعضهم بعضاً.

كما يشرع فيه اللهو المباح كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا))[٨٣].

وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله

---

[٨٠] نظم الدرر(١/ ٣٤٥).

[٨١] ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وحسّن إسناده (٢/٤٤٦).

[٨٢] فتح الباري (٢/٥١٤).

[٨٣] صحيح البخاري ٩٥٢(٢/ ١٧)، صحيح مسلم ٨٩٢(٢/ ٦٠٧).

عليه وسلم يومئذ: ((لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة))[٨٤].

وقد بوب مسلم رحمه الله بقوله: (باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد) [٨٥].

د- النهي عن صوم يومي العيدين لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين يوم الفطر ويوم النحر[٨٦].

وسن أكل تمرات يوم عيد الفطر قبل الصلاة لحديث أنس بن مالك قال: (كان رسول الله لا يغدو يوم فطر حتى يأكل تمرات.. ويأكلهن وترا) [٨٧].وذلك مبالغة في النهي عن الصوم، وإيذانا بالإفطار وانتهاء الصوم أما عيد الأضحى فالمستحب ألا يأكل إلا بعد الصلاة، ومن أضحيته إن أمكن[٨٨].

**٧-يوم الجمعة**

فهو عيد الأسبوع وأفضل أيامه، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أُهبط

---

[٨٤] مسند ٢٤٨٥٥(٤١/ ٣٤٩) وجود إسناده الألباني في الصحيحة (٤/٤٤٣).

[٨٥] صحيح مسلم(٢/ ٦٠٧).

[٨٦] صحيح مسلم ١١٣٨ (٢/ ٨٠٠).

[٨٧] صحيح البخاري ٩٥٣(٢/ ١٧).

[٨٨] ينظر فتح الباري (٢/٤٤٦).

من الجنة وفيه تقوم الساعة، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة وفيه أخرج منها))[٨٩].

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، ونحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق))[٩٠].

ومن فضائله أن الله جعله عيدا للمسلمين فعند ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك))[٩١].

وفيه ساعة يستجاب فيها قال صلى الله عليه وسلم: ((إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه))[٩٢].

وأرجحها أنها بعد العصر لقوله صلى الله عليه وسلم: ((يوم الجمعة اثنا عشرة ساعة لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه إياه فالتمسوها

---

[٨٩] صحيح مسلم ٨٥٤ (٢/ ٥٨٥).

[٩٠] صحيح مسلم ٨٥٦(٢/ ٥٨٦).

[٩١] سنن ابن ماجه ١٠٩٨(١/ ٣٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة ٩٠١(١/ ١٨١).

[٩٢] صحيح البخاري٥٢٩٤(٧/ ٥١)؛صحيح مسلم ٨٥٢(٢/ ٥٨٤).

آخر ساعة بعد العصر))[٩٣].

ومن فضائل يوم الجمعة ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر))[٩٤].

وغيرها من الفضائل؛ ولذا شرع في هذا اليوم:

أ- التبكير إلى صلاة الجمعة: قال الشيخ الشنقيطي -رحمه الله-: "وقيل: أولُ (بدعة) أُحدثت في الإسلام؛ ترك (البكور) إلى الجمعة، إذِ البكور إليها من شِدَّة العناية بها"[٩٥].

ومن فضائل التبكير إليها قوله - صلى الله عليه وسلم: (( من غسَّلَ يومَ الجمعةِ واغتسلَ، ثمَّ بَكَّرَ وابتَكرَ ومشى ولم يرْكب، ودنا منَ الإمامِ فاستمعَ ولم يلغُ، كانَ لَهُ بِكلِّ خطوةٍ عملُ سنةٍ
أجرُ صيامِها وقيامِها))[٩٦].

وعن هذا الحديث، قال بعض الأئمة: لم نسمع في الشريعة حديثًا صحيحًا مشتملًا على مثل هذا الثواب! وهو أعظم حديث في فضائل

---

[٩٣] سنن النسائي ١٣٨٩ (٣/ ٩٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي ١٣١٦ (٤/ ٣٣).

[٩٤] صحيح مسلم٢٣٣ (١/ ٢٠٩).

[٩٥] أضواء البيان (٨ / ص ١٦٥).

[٩٦] رواه أبو داود -وصححه الألباني.٣٤٥(١/ ٩٥)؛ والترمذي، وحسنه ٤٩٦(٢/ ٣٦٨).

الأعمال، وأكثر حديث في الإسلام أجرًا وثوابًا، وأقلّه عملاً[٩٧]. فكل خطوة للجمعة تعادل: أجر صيام وقيام سنة: (٣٥٤ يوما).

أ- كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا))[٩٨].

ب- الاغتسال والتطيب والاستياك ولبس أحسن الثياب لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستنّ[٩٩] وأن يمس طيبا)) [١٠٠].

ت- كما جاء التحذير من التخلف عنها كما قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن ترَك الجمُعةَ ثلاثًا طُبِع على قلبِه وجُعِل قلبُه قلبَ

---

[٩٧] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١٠٣٥).

[٩٨] السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي ٦٢٠٧ (٣/ ٢٤٩)، وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٠٧ (٣٩٧/٣).

[٩٩] يَسْتَنَّ، أي: يُنظِّفَ أسنانَه بالسِّواكِ ونحوِه، مِن الاستِنانِ الذي هو الاستِياكُ، وهو دَلْكُ الأسنانِ وحَكُّها بما يَجلوها.

[١٠٠] صحيح البخاري ٨٨٠(٢/ ٣)؛ صحيح مسلم ٨٤٨(٢/ ٥٨٢).

منافقٍ ))[١٠١] وجاء الترغيب في صلاة فجرها[١٠٢]، ومشروعية قراءة ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان[١٠٣]، وغير ذلك من الخصائص والمستحبات الخاصة بهذا اليوم العظيم.

ث- قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فالله سُبحانه جعل لأهل كُلِّ مِلة يوما يَتَفَرَّغُون فيه لِلعبادةِ، ويَتَخَلَّونَ فيهِ عن أشْغالِ الدُّنيا؛ فيومُ الجُمُعةِ يوم عِبَادَةٍ، وهو في الأيَّام: كشهرِ رمضانَ في الشُّهور، وساعةُ الإِجابةِ فيه: كليلةِ القَدْرِ في رمضان"[١٠٤].

ومع هذا الفضل فليس من تعظيمه أن يخصّ بصيام أو قيام، ولذلك ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يصومنّ أحدكم يوم الجمعة إلا يوما قبله أو بعده))[١٠٥]، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه

---

[١٠١] مسند أحمد-صححه محققه- ٢٢٥٥٨(٣٧/ ٢٥٠)؛ سنن ابن ماجه ١١٢٥(١/ ٣٥٧) وحسنه الألباني.

[١٠٢] فضائل الأوقات للبيهقي ٢٨٨ (ص: ٥١٢).

[١٠٣] صحيح البخاري ١٠٦٨ (٢/ ٥)، صحيح مسلم ٨٨٠ (٢/ ٥٩٩).

[١٠٤] زاد المعاد(١/ ٣٨٦).

[١٠٥] صحيح البخاري ١٩٨٥(٣/ ٤٢).

أحدكم))[١٠٦].

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على صيام البيض فقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله تعالى عنه: ((إن كنت صائما فعليك بالغر البيض؛ ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة)) [١٠٧] وسميت بيضاً لأن ليلها أبيض بالقمر لاكتمال نوره في هذه الليالي.

**٨- الاثنين والخميس**

فيسنّ صيامهما وترفع فيها أعمال العباد، ويغفر فيهما لسوى المتشاحنين من المؤمنين. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَومَ الاثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا))[١٠٨].

وعن مولى أسامة بن زيد أن أسامة قال له مولاه: لم تصوم يوم الاثنين ويوم الخميس وأنت شيخ كبير؟ فقال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم

---

[١٠٦] صحيح مسلم ١١٤٤(٢/ ٨٠١).

[١٠٧] أخرجه النسائي (٢٤٢٧) مطولاً والترمذي (٧٦١) وأحمد (٢١٥٣٧) باختلاف يسير وحسّن إسناده الألباني في الصحيحة (١٥٦٧).

[١٠٨] صحيح مسلم ٢٥٦٥(٤/ ١٩٨٧).

كان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس، وسئل عن ذلك فقال: ((إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس))[١٠٩].

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه يتحرى السفر يوم الخميس، فعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه كَانَ يَقُولُ: (لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ إِلَّا يَوْمَ الْخَمِيسِ)[١١٠].

## ٩-الثلث الأخير من الليل

وفيه وقت السحر الذي امتدح الله تعالى القيام والاستغفار فيه فقال تعالى: **{كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون*وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}[الذاريات:١٧-١٨]**.

وفيه التنزّل الإلهي فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له))[١١١].

---

[١٠٩] سنن أبي داود باب في صوم يوم الاثنين والخميس ٢٤٣٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع١٥٧٠،(٣٢٦/١).

[١١٠] أخرجه البخاري (٢٩٤٩)وأبو داود (٢٦٠٥)، والطبراني (١١٠) (١٩/ ٦٠) وغيرهم.

[١١١]صحيح البخاري . ١١٤٥(٢ / ٦٦)، صحيح مسلم . باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه. ١٨٠٨ (٢ / ١٧٥).

فهذه شعائر الله الزمانية وأيامه الفاضلة التي فضّلها الله تعالى وشرفها وعظّمها وشرع للمسلمين من وسائل تعظيمها وتخصيصها ما هو معلوم.

وليس من تعظيم شعائر الله تعظيم أيام الموالد، ولا الأيام الوطنية، ولا المناسبات ولا غيرها من الأيام والأزمان التي لم يرد تعظيمها في الكتاب والسنة، والفضل توقيفي، لا يمكن أن يصل إليه بالرأي والاجتهاد) إنما بالنصوص – كما تقدم– وفي الحديث: ((إن يوم النحر ويوم عرفة وأيام التشريق، هنّ عيدنا أهل الإسلام، وهن أيام أكل وشرب)) [١١٢].

**١٠– وقت الفجر ووقت العصر:**

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: "وهذان الوقتان – أعني: وقت الفجر ووقت العصر – هما أفضلُ أوقات النَّهار للذِّكر، ولهذا أمر الله تعالى بذكره فيهما في مواضع من القرآن: كقوله تعالى: ﴿وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلًا﴾ وقوله: ﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وأصِيلًا﴾ وقوله: ﴿وسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإبْكارِ﴾ وذلك لأنه لا تطوع بعدهما"[١١٣].

---

[١١٢] مسند أحمد١٧٣٨٣(٢٨/ ٦٠٨) قال محققه: إسناده على شرط مسلم.

[١١٣] جامع العلوم والحكم (٤٢٩).

**الفصل الثالث : الشعائر المكانية والعينية في مكة المكرمة والمتعلقة بالمناسك.**

**المبحث الأول : مكة المكرمة وما يتعلق بها من المشاعر.**

وهي البلدة التي حرّمها الله وشرّفها وقدّسها، وتعددت أسماؤها تشريفا وتعظيما لها. وقد سماها الله تعالى في كتابه العزيز بعدة أسماء، منها:

أ- مكة، وهو أشهر أسمائها، قال تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}[الفتح:٢٤]** وقيل في تعليل تسميتها أقوالاً كثيرة منها: أنها تمك الذنوب أي تذهبها، أو بسبب تصرفات العرب أيام الجاهلية حيث كانوا يأتون مكة ويصفرون صفير المكا حول الكعبة، والمكا اسم طائر، وقيل سميت مكة لقلّة مائها من قول العرب مَكَّ الفصيل ما في ضرع أمه وامتكّه إذا لم يبق فيه من اللبن شيئا إلا مصَّه، وقيل غير ذلك.

ب- بكة. قال تعالى: **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِين}[آل عمران:٩٦]** وسميت بكّة لأن العرب تعاقب بين الميم والباء، يقولون لازب ولازم، وقيل: سميت بكّة لأن الناس يتباكُّون فيها؛ أي يزدحمون يبكّ بعضهم بعضا.. وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: " سميت بكّة لأنها تبكّ أعناق الجبابرة،

أي تَدقُّها فلم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله"[١١٤].

وذهب بعض أهل العلم إلي التفريق بين مكة وبكة. فجعل بكّة خاصة بالبيت وما يحيط به من المسجد، أما مكة فهي ما وراء ذلك فبكّة جزء خاص من مكة[١١٥].

ت- أم القرى. قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}[الشورى:٧]** وسميت بذلك لأنها أشرف وأفضل البلاد وأحبها إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم[١١٦].

ث- البلد الأمين. قال تعالى: **{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ*وَطُورِ سِينِينَ*وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ}[التين:١-٣]** وغيرها من الأسماء والصفات التي ورد إطلاقها على هذه البلدة المباركة.

ج- المسجد الحرام؛ ويطلق ويراد به كامل الحرم ضد الحلّ ، وهو أكثر إطلاقاته وقد وردت هذه التسمية في القرآن الكريم (١٥) مرة. قال الله تعالى: **{لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ }[الفتح:٢٧]**قال ابن القيم رحمه الله تعالى:"المسجد الحرام يراد به في كتاب الله ثلاثة أشياء؛

---

[١١٤] تفسير البغوي (٢/ ٧١).

[١١٥] تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٧٨).

[١١٦] تفسير ابن كثير(٤/١١٦).

نفس البيت، والمسجد حوله، والحرم كله"[١١٧].

ح- البيت العتيق: وجاء إطلاقه في القرآن الكريم مرتين؛ مرة يراد به كامل الحرم، قال الله تعالى: **{ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ}[الحج:٣٣]**، ومرة الكعبة**{وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}[الحج:٢٩]**.

**وقد ورد في مكة جملة من الفضائل والخصائص، ومن أهمها:**

١-أن الله تعالى أقسم بها في كتابه: وقسمه تعالى بها دليل على تعظيمها ورفعة شأنها عنده تعالى، فقال تعالى: **{لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}**[البلد:١]وقال تعالى: **{وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ}**[التين:٣]. وأشار إليها باسم الإشارة (هذا) للدلالة على قرب مكانتها ومنزلتها عند الله تعالى.

٢- وهي أفضل البقاع وأحبها إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله بن عدي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحَزْوَرة[١١٨] من مكة وهو يقول: (( والله إنك لخير أرض

---

[١١٧] أحكام أهل الذمة (١/ ١٨٩).

[١١٨] بِفَتْح الْحَاء وَسُكُون الزَّاي وَفتح الْوَاو وَالرَّاء بعْدهَا، الرابية الصغيرة، وَكَانَت سوق مَكَّة وَقد دخلت فِي الْمَسْجِد لما زيد فِيهِ. وبَابُ الحَزْوَرَةِ هو البابُ المقابِلُ لِبابِ بني هاشمٍ المعروفِ الآن ببابِ عليٍّ. ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢٢٠)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٣/ ١٤٢٨)،الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول (٧/ ٢٨٠).

الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت))[١١٩].
وفي رواية للترمذي: ((ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك ))[١٢٠].

٣- وهي البلاد التي حرمها الله تعالى: قال عز وجل: **{إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**[النمل:٩١].

وقال صلى الله عليه وسلم: (( إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ولا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرا فإن ترخص أحد فقال أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا: إن الله أحلها لرسوله ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ))[١٢١]. وفي يوم الفتح لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم العباس بحبس أبي سفيان حتى يرى كتائب المسلمين حتى مرت كتيبة الأنصار وعليهم سعد بن عبادة يحمل الراية، فقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ،

---

[١١٩] سنن الترمذي –باب في فضل مكة ٣٩٢٥ (٥ / ٧٢٢)قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح.

[١٢٠] سنن الترمذي – باب في فضل مكة ٣٩٢٦ (٥ / ٧٢٣)قال أبو عيسى:"هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه". قال الشيخ الألباني: "صحيح".

[١٢١] صحيح البخاري ١٠٤(١ / ٣٢)، صحيح مسلم. باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام. ٣٣٧٠ (٤ / ١٠٩).

الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ، حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ. ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ: مَا قَالَ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: ((كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ))[١٢٢].

وروي عنه صلى الله عليه وسلم:((لا تزال الأمة بخير ما عظّموا هذه الحرمة حق تعظيمها، فإذا ضيّعوا ذلك هلكوا))[١٢٣].

٤- من دخلها كان آمناً، قال الله تعالى: **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}**[آل عمران: ٩٦-٩٧] قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:" في ذلك تنبيه على الحكم والأسرار والمصالح والبركات المتنوعة المحتوي هذا البيت العظيم عليها، وكان ذلك داعيا إلى تعظيمه بغاية ما يمكن من التعظيم "[١٢٤].

ومن العجب أن أهل الجاهلية كان لهم نصيب من تعظيم البلد الحرام ورعاية حقوق البيت مستشعرين مكانته وكلامهم في ذلك معروف في موضعه.

---

[١٢٢] صحيح البخاري ٤٢٨٠(٥/ ١٤٧).

[١٢٣] أخرجه ابن ماجه٣١١٠ (١٠٣٨/٢) وأحمد في المسند٢٩٠٩(٣٩٥/٣١) وسنده ضعيف.

[١٢٤] تيسير اللطيف المنان (ص٩٧).

ومن ذلك أن الرجل يرى فيه قاتل أبيه فلا يثأر منه ولا يزعجه قال القرطبي رحمه الله تعالى: "فكانوا في الجاهلية من دخله ولجأ إليه أمن من الغارة والقتل.."[١٢٥].

فإذا كان هذا حال أهل الجاهلية فمن المفارقات العجيبة أن يجهل الكثير من المسلمين اليوم حقوق البلد الحرام، ويخفّ تعظيمه في قلوبهم ويرتكب فيه ما لا يمكن أن يصدر من معظم مجلٍّ لأعظم بقعة على وجه الأرض..[١٢٦].

٥- وجعل الصلاة فيها بمئة ألف صلاة فيما عداها، قال عليه الصلاة والسلام: (( صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)) [١٢٧].وفي رواية عند ابن ماجه وأحمد:((وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه ))[١٢٨].

وقد رجح كثير من العلماء مضاعفة الصلاة في سائر الحرم، ومنهم مفتي أهل مكة في زمانه التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح رحمه الله؛ فقد سأله الربيع بن صبيح: " يا أبا محمد هذا الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام وحده أو

---

[١٢٥] الجامع لأحكام القرآن(٤/ ٩١).

[١٢٦] ينظر: البلد الحرام فضائل وأحكام إعداد اللجنة العلمية في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى (ص٨١ ) فما بعدها.

[١٢٧] صحيح البخاري ١١٩٠(٢ / ٦٠)، صحيح مسلم . باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة. ٣٤٤١(٤ / ١٢٤).

[١٢٨] سنن ابن ماجه .كتاب إقامة الصلاة ١٤٠٦ (٢ / ٤١٢)مسند أحمد بن حنبل – ١٥٣٠٦(٣/ ٣٩٧) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

في الحرم كله؟ فقال عطاء: بل في الحرم كله، فإن الحرم كله مسجد"[١٢٩].

وهذا هو الراجح:

-لأن أكثر إطلاقات( المسجد الحرام) في القرآن تعني عموم الحرم.

- ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في الحديبية وهي على حدود الحرم الغربية كان يتعمد الدخول إلى الحرم فيصلي فيه[١٣٠].

- وكذلك لجلوسه بالأبطح، وحين دخوله مكة ببئر طوى، وحين انتهى من طوافه وسعيه جلس أربعة أيام وزيادة وهو يصلي في غير مسجد الكعبة، ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم ذهب ولا أحد من أصحابه إلى الصلاة في مسجد الكعبة مع قرب المكان، وما كان من عهدهم التفريط في ترك الفضائل بل المسارعة إليها فدل على أن المضاعفة عامة لجميع الحرم[١٣١].

والراجح أن هذه المضاعفة تشمل الفرض والنفل؛ مما تشرع فيه الجماعة كالعيدين والاستسقاء والتراويح وما لا تشرع فيها كالسنن الرواتب والمطلقة، وسواء صلى في جماعة أو منفرداً، وممن رجح ذلك أيضا ابن القيم وهو قول الجمهور.

ولا شك أن الصلاة في مسجد الكعبة أفضل لتيقّن المضاعفة وكثرة الجماعة، والقرب من الكعبة وغيرها.

---

[١٢٩] مسند أبي داود الطيالسي ١٤٦٤ (٢/ ٧٠٨).

[١٣٠] رواه أبو داود (٢٧٦٦) والحاكم (٣٧١٠) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[١٣١] ينظر كتاب: التحفة في أحكام الحج والعمرة لفضيلة الشيخ فهدبن يحيى العماري ص(٤٤٦).

وقد يشكل على ما تقدم حديث ميمونة رضي الله عنها:((صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد غير مسجد الكعبة))[١٣٢] فيحرص على الصلاة في مسجد الكعبة قدر الإمكان.

وقد أجيب على هذا الحديث بعدة أجوبة منها أن الراوي يمكن أن يكون رواه بالمعنى، والمراد؛ المسجد الحرام عموماً، أو أن يراد بالكعبة عموم الحرم كما في قوله تعالى:**{هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ }[المائدة:٩٥]** والمراد عموم الحرم، أو من باب إطلاق الجزء والمراد الكل، والله أعلم.

٦- وفي مكة يُرجى أن تضاعف الحسنات، فقد رجح كثير من أهل العلم مضاعفة الحسنات عموما في البلد الحرام، وهو قول الإمام أحمد واختيار النووي. ولذا نصّ العلماء على أن المكث والمجاورة والاعتكاف في مكة أفضل من المدينة؛ لتحصيل أجور الطواف ومضاعفة أجور الصلوات وأعمال الخير بما ليس في المدينة مع فضلها.

قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: "والحاصل أن المضاعفة في الحرم الشريف بمكة المكرمة لا شك فيها- أعني مضاعفة الحسنات- ولكن ليس في النص - فيما نعلم - حدّ محدود ما عدا الصلاة."[١٣٣]. فأعمال البر في الحرم تضاعف من غير تحديد عدد معين كالصلاة، ولكن تفضل وتعظم الحسنات

---

[١٣٢] رواه مسلم ١٣٩٦ (٢/ ١٠١٤)، وأحمد واللفظ له ٩٠١٢(١٤/ ٥٥٤).

[١٣٣] مجموع فتاوى ابن باز جمع الطيار (٣/ ١١٦٢).

لعظم وشرف المكان والزمان، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: "مضاعفة أجور العمل تكون بسبب شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم، وشرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة، وبسبب شرف العامل عند الله، وقربه منه وكثرة تقواه"[١٣٤].

أما مضاعفة السيئات فيه فقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: (العمل فيه- أي الحرم - أفضل، والخطيئة أعظم..)[١٣٥]. وقال مجاهد: "تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات"[١٣٦]. وسئل الإمام أحمد: هل تكتب السيئة أكثر من واحدة؟ قال:"لا، إلا بمكة لتعظيم البلد"[١٣٧].

وقال شيخ الإسلام: "والصلاة وغيرها من القرب بمكة أفضل، والمجاورة بمكان يكثر فيه إيمانه وتقواه أفضل حيث كان وتضاعف السيئة والحسنة بمكان أو زمان فاضل وذكره القاضي وابن الجوزي انتهى"[١٣٨]. قال بعض أهل العلم: من همَّ أن يعمل سيئة في مكة، أذاقه الله العذاب الأليم بسبب همِّه بذلك وإن لم يفعلها، بخلاف غير الحرم المكي من البقاع، فلا يعاقب فيه

---

[١٣٤] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٥١).

[١٣٥] مصنف عبد الرزاق ح:٨٨٧١ (٥/ ٢٨).

[١٣٦] الدر المنثور (٤/ ٣٥٢).

[١٣٧] مسائل الإمام أحمد برواية إسحاق (٩/ ٤٥٩٨).

[١٣٨] الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٨٠).

بالهمّ[١٣٩].

وعليه؛ فالجمع بين الآية وبين حديث: ((من هم بسيئة فلم يعملها كُتبت له حسنة)) أن يقال: إن عموم الحديث مخصوص بالآية، فيحمل الحديث على غير الحرم، قال ابن القيم رحمه الله: "ومن خواصه أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها، قال تعالى: {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم[الحج: ٢٥]"[١٤٠].

وجمهور العلماء على أن الحسنة في مكة تضاعف كمّاً وكيْفًا، أما السيئة فتعظّم وتغلّظ كيْفاً لا كمّاً لأن السيئة لا يضاعف إثمها لا في مكة ولا في غيرها[١٤١] وإنما تغلّظ وتعظّم لحرمة البلد الحرام. ولذا امتنع بعض السلف من الإقامة في مكة لأجل ذلك، كابن عباس، والله المستعان.

٧- التغليظ في تحريم الإلحاد فيها والوعيد العاجل للملحد فيها أو من همّ فيها بإلحاد، قال الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم}**[الحج:٢٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة، ملحد في الحرم،

---

[١٣٩] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٢٩٤).

[١٤٠] زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥١).

[١٤١] فتح الباري(١١/ ٣٢٩).

ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطّلبُ دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه))[١٤٢] وعدّه ابن عمر رضي الله تعالى عنهما من الكبائر لما سئل عنها قال: ((هن تسع: الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد...))[١٤٣].

والإلحاد هنا يعم كل ميل إلى باطل، فهو شامل لكل معصية تراد في هذا البلد الحرام ويهم بها أو تفعل، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لو أن رجلا همّ فيه بالإلحاد وهو بعَدنِ أبْيَن لأذاقه الله عذابا أليما"[١٤٤]. ولذا كان السلف يقدرون حرمة البيت ويعظمونه في نفوسهم تعظيماً عجيباً حتى إن منهم من تحرج من سكنة مكة خشية الوقوع في المعاصي قال ابن رجب رحمه الله تعالى:"وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم مخافة ارتكاب الذنوب فيه.." قال:(وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال:"لأن أخطئ سبعين خطيئة- يعني بغير مكة -أحبّ إليّ من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة.."[١٤٥].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الآثار الواردة عن

---

[١٤٢] صحيح البخاري. ٦٨٨٢(٩ / ٧).

[١٤٣] الأدب المفرد(ص: ١٧)؛ تفسير الطبري(٨/ ٢٣٩).

[١٤٤] رواه أحمد ٤٣١٦(١/٤٢٨) والطبري في التفسير(١٧/١٤٨) والحاكم وصححه، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٤٦١(٢/ ٤٢٠).

[١٤٥] جامع العلوم والحكم (ص٣٣٢).

السلف في معنى الآية: "وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها، ولهذا لما همّ أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيرا أبابيل **{تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيل*فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُول}[الفِيل: ٤-٥]**

أي دمرهم وجعلهم عبرة ونكالاً لكل من أراده بسوء.." (١٤٦).

٨- ومن تعظيمها أنه لا يُشرع دخولها لأحد إلا بإحرام. وخاصة الآفاقي، وهذا من تعظيم البلد الحرام، ومن خصائصه، وهذا مذهب الحنابلة وجمهور الفقهاء، قال ابن القيم: "ومن خصائصها أنها لا يجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكررة إلا بإحرام"(١٤٧).

وهو الأفضل وليس بلازم وخاصة أهل مكة ومن يكثر التردد عليها، أو دخلها لغرض ويشق عليه الاعتمار فلا حرج في ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقّت المواقيت قال: ((هنّ لهنّ ولكل من أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة)) ومفهومه أن غير مريد الحج أو العمرة لا يلزمه الإحرام.

٩- ومن تعظيمها أنه يسن الاغتسال لمن دخلها حاجاً أو معتمراً(١٤٨)

---

(١٤٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٥).

(١٤٧) المرجع السابق.

(١٤٨) صحيح البخاري ١٥٧٣ (٢/ ١٤٤) صحيح مسلم ١٢٥٩ (٢/ ٩١٩).

بما في ذلك الحائض والنفساء، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أسماء أن تغتسل.

١٠- ويمنع الكفار من دخولها، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيم}**[التوبة:٢٨]. والمقصود بالمسجد الحرام هنا الحرم كله وليس مسجد الكعبة فقط. وهذا يشمل الخدم والسائقين، ولا يدفن فيها الكافر، وإن مات فيها أخرج منها تعظيماً للبلد الحرام(١٤٩).

بل قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "منع الله سبحانه المشركين من اليهود والنصارى وغيرهم من سكنى جزيرة العرب مبالغة في نفيهم عن مجاورة البيت.."(١٥٠)، ولعله يعني قوله صلى الله عليه وسلم:((أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ))(١٥١)، وقوله صلى الله عليه وسلم:((لأخرجن الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا))(١٥٢).

---

(١٤٩) كشاف القناع (٣/ ١٣٥).

(١٥٠) شرح العمدة (٤/ ٣٢)..

(١٥١) صحيح البخاري ٣٠٥٣ (٤/ ٧٠)، صحيح مسلم١٦٣٧(٣/ ١٢٥٨).

(١٥٢) صحيح مسلم ١٧٦٧ (٣/ ١٣٨٨).

١١- ويحرم صيدها على جميع الناس حتى أهل الحرم والمحلين ويحرم تنفيره، لقوله صلى الله عليه وسلم:(( ولا ينفر صيده )) [١٥٣].

ويُستثنى من القتل خمس من الفواسق، قال صلى الله عليه وسلم: (( خمس من الدواب لا حرج من قتلهنّ، الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور )) [١٥٤].

وقد فسر الإمام مالك الكلب العقور بأنه: كل ما عقر الناس وعدا عليهم وأخافهم مثل الأسد والنمر والفهد والذئب فهو كالكلب العقور بجامع الكلبية.

١٢- ويحرم قطع شجرها وخلاها لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها))-والخلا هو الحشيش الرطب- أما الحشيش اليابس فيجوز قطعه لمفهوم المخالفة.

ويستثنى من ذلك الإذخر فيجوز قطعه، وكذلك ما كان من غرس الآدميّين فلا بأس من قطعه، وأيضا له أن يرسل ما شيته لترعى من غير أن يقطعه لها.

١٣- ولا تحل لقطتها إلا لمعرّف بغير تملّك لها، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله حبس عن

---

[١٥٣] صحيح البخاري- باب لا يحل القتال بمكة ١٨٣٤(٣/ ١٥) صحيح مسلم - باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها١٣٥٣(٢/ ٩٨٦).

[١٥٤] صحيح البخاري ١٨٢٨(٣ / ١٣)، صحيح مسلم . باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم. ٢٩٢٤ (٤ / ١٨).

مكة القتل، أو الفيل شك أبو عبد الله، وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنها حلت لي ساعة من نهار ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها، ولا يعضد شجرها، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد فمن قتل فهو بخير النظرين إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتيل[١٥٥] فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله فقال اكتبوا لأبي فلان فقال رجل من قريش –وهو العباس– إلا الإذخر يا رسول الله فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إلا الإذخر، إلا الإذخر)) [١٥٦].

١٤–يحرم القتال فيها وسفك الدماء، قال تعالى:**{ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِين}[البقرة:١٩١]**وكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، فقد أمّن كل من ألقى سلاحه ولم يقاتل من المشركين.

وقد عظّم النبي صلى الله عليه وسلم أمر القتال في الحرم وأكّد على تحريمه وقال: ((إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، لا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرا، فإن أحد ترخّص بقتال النبي صلى الله عليه وسلم فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي

---

[١٥٥] أي: يؤخذ لهم بثأرهم.

[١٥٦] صحيح البخاري ١١٢(١ / ٣٣)، صحيح مسلم. باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام. ٣٣٧١(٤ / ١١٠).

ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس)) [١٥٧].

١٥- ويحرم حمل السلاح فيها لغير حاجة، لحديث: ((لا يحل لأحدكم أن يحمل السلاح بمكة)[١٥٨].

قال القاضي عياض: "هذا محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة؛ فإن كانت جاز"[١٥٩].

وكان العرب في الجاهلية يعظمون هذا البيت، وكانوا يأخذون من لحى الشجر – السمر- فيجعلونه في رقابهم فلا يتعرض لهم أحد، وكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يؤذيه بشيء حتى يخرج، احتراما وتعظيما لحرمة هذا البلد الحرام.

١٦- ولا يدخلها الدجال: ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق))[١٦٠].

١٧- وهي مأرز الإيمان مع المدينة آخر الزمان كما في حديث ابن عمر

---

[١٥٧] صحيح البخاري١٨٣٢(٣/ ١٤).

[١٥٨]صحيح مسلم. باب النهى عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة. ٣٣٧٣ (٤ / ١١١).

[١٥٩] شرح صحيح مسلم للنووي(٩/١٣٠).

[١٦٠]صحيح البخاري ١٨٨١(٣ / ٢٢) وفي لفظ: من "أنقابها" وكلاهما بمعنى. وهو الطريق بين الجبلين.

رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (( إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما كان، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها))[١٦١] وتأرز بمعنى: تنضمّ وتجتمع[١٦٢].

وفي مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها) [١٦٣].

ومن تعظيم الله تعالى لمكة: أنه عز وجل نسب الظلم إلى أهلها ولم ينسبه إليها كما في قوله تعالى في سبيل الحث والتحريض على قتال المشركين من أهل مكة: **{ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليّا واجعل لنا من لدنك نصيرا}**[ النساء:٧٥]، والمراد مكة.

بينما جرى النسق القرآني- غالباً- أن الله تعالى ينسب الظلم إلى القرية غير مكة، كما قال تعالى: **{وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}**[هود:١٠٢] وقال تعالى: **{وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين}**[الأنبياء:١١] وقوله تعالى: **{فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطّلة وقصر مشيد}**[الحج:٤٥] إلى غير ذلك من الآيات. وقد ينسب الظلم إلى أهل

---

[١٦١] صحيح مسلم ١٤٦(١/ ١٣١).

[١٦٢] المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٢١).

[١٦٣] مسند أحمد-وقال شعيب: إسناده جيد ١٦٠٤(٣/ ١٥٧).

القرى غير مكة كما في قوله تعالى: **{وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُون}[القصص:٥٩]** وقوله تعالى: **{قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِين}[العنكبوت:٣١]**.

ومن حكمة الله تعالى، أن "جعل بيته بواد غير ذي زرع لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله".[١٦٤] فيقوى جانب تجريد العبودية لله تعالى، لا لشيء من متع الحياة التي تكثر فيما سواها، بل إن في شعيرة الإحرام ومحظوراته ما يغلب البعد عن جانب الترفه ومتع الدنيا والإقبال على الآخرة.

كما قال صلى الله عليه وسلم في المدينة: ((من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا))[١٦٥].

وكتب الحسن البصري إلى بعض إخوانه :يا أخي! أبقاك الله تعالى: إنه بلغني أنك قد أجمعت رأيك على الخروج من حرم مكة، وإني والله! كرهتُ ذلك وغَمَّني، واستوحشتُ من ذلك وحشة شديدة، إذ أراد الشيطان أن يزعجك من حرم الله، ويستنزلك، فيا عجباً من عقلك إذ نويت من نفسك هذا بعد أن جعلك الله من أهله، ولو أنك حمدت الله على ما أولاك وأعلاك في حرمه وأمنه، وصيّرك من أهله، لكان الواجب عليك شكره أبداً ما دمت حياً، ولكُنْتَ مشغولاً بعبادته أضعافَ ما كنت عليه أن جعلك من جيران

---

[١٦٤] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(٦/ ٤٣٦).

[١٦٥] موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (٢/ ٥٤) والمشهور أن ذلك يخص المدينة لا مكة.

بيته، فإياكَ والظعنَ منها شبراً واحداً؛ فإنه ورد :أن المقام بمكة سعادة، والخروج منها شقاوة، وإياكَ والقلقَ والضجرَ، وعليك بالصبر والصمت والحلم؛ فإنك في خير أرض الله وأفضلها وأعظمِها قدراً وأشرفِها عنده، ولله في جيران بيته أسرارٌ لمن تعرَّضَ لها في شطر الليل"[١٦٦].

وليس في الموت أو الدفن في مكة مزيد فضل على غيرها من البقاع لعدم الدليل الصحيح الصريح على ذلك فيما نعلم. والله أعلم، إلا أن الفقهاء نصوا على استحباب[١٦٧] الدفن في مقابر الصالحين وبجوارهم؛ ولذلك سأل عمر رضي الله تعالى عنه عائشة رضي الله تعالى عنها واستأذنها في الدفن مع صاحبيه في حجرتها فأذنت[١٦٨].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن موسى عليه السلام حين جاءه ملك الموت سأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر[١٦٩].

أما المدينة النبوية فقد وردفي فضل الموت فيها بعض النصوص نشير إليها في موضعها إن شاء الله.

وقد روى الإمام مالك في الموطأ أن سلمان الفارسي كان في العراق وأبو

---

[١٦٦] رحلة الصديق إلى البلد العتيق (ص: ٣١).

[١٦٧] غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى (١/ ٢٧٨).

[١٦٨] صحيح البخاري ٣٧٠٠ (٥/ ١٦).

[١٦٩] البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢).

الدرداء كان في المدينة – رضي الله تعالى عنهما – فكتب إلى سلمان يحضّه على الإتيان إلى المدينة فرد عليه بقوله: (إن الأرض لا تقدس أحداً؛ إنما يقدس الإنسان عمله) [١٧٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أَفْضَلُ الْأَرْضِ فِي حَقِّ كُلِّ إنْسَانٍ: أَرْضٌ يَكُونُ فِيهَا أَطْوَعَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ، وَلَا تَتَعَيَّنُ أَرْضٌ يَكُونُ مُقَامُ الْإِنْسَانِ فِيهَا أَفْضَلَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّ كُلِّ إنْسَانٍ بِحَسَبِ التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْحُضُورِ،.." ثم ذكر خبر سلمان وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما[١٧١].

وليس من التعظيم لمكة زيارة المقابر للتبرك بالمقبورين ودعائهم والتوسل بهم أو الدعاء عندهم، هذا وقد بيّن المحققون من المؤرخين المتقدمين ونصوا على أنه لا يعرف في مكة على وجه التعيين والجزم من قبور الصحابة سوى قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها بسرف خارج مكة [١٧٢].

أما قبر خديجة رضي الله تعالى عنها فلم يكن معروفاً حتى القرن الثامن الهجري فتمّ تحديده بناء على رؤيا لأحد الصوفية حين رأى أن نوراً يصعد من قبر في المعلاه، فعبّرها والي مكة إذ ذاك من الأشراف وقال: هذا يدل على أنه

---

[١٧٠] موطأ مالك(٢/ ٧٦٩).

[١٧١] مجموع الفتاوى(١٨/ ٢٨٣).

[١٧٢] رحلة التجيبي(ص ٣٣٩).

قبر خديجة وبنى عليه قبة فصار مزاراً.. [١٧٣].

أما زيارة المعالم والآثار الثابتة كغار حراء وغار جبل ثور فإذا كان ذلك على سبيل السياحة والاطلاع والتفكر والتذكر والاعتبار فهذا جائز بشروط:

١-ألا يقصد بزيارتها نية التبرك والتعظيم والتقرب والتعبد لله تعالى أو التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو لقصد أنها أمكنة لإجابة الدعاء عندها.

٢- ألا يكون فيها مظاهر محرمة شركية أو بدعية ولا يستطيع إنكارها، والأولى ترك ذلك واجتنابه وليس هو من هدي السلف، وقد يكون ذريعة للتقرب به في ثاني الحال أو عاقب الأجيال كما هو حال الناس من قديم، ولو قيل بالمنع كراهة وسدا للذريعة وحسما للمادة كان أولى وأتقى والله أعلم.

وليس من المعالم الثابتة ما يسمى بالمولد النبوي. فهذا دون إثباته خرط القتاد فلم يتفق المؤرخون على مكان المولد فضلاً عن تحديد الموضع على وجه الدقة. ولو ثبت فلا يخص بزيارة أو أي صورة من صور التعظيم.

وكذلك ما يسمى بالمساجد الأثرية كمسجد الإجابة ومسجد الجن.

وهذه وأمثالها كلها قد انمحت معالمها وآثارها ولم تعرف مواقعها لعدم اهتمام الصحابة وأصحاب القرون المفضلة بالمواقع التي لا يتعلق بها عمل شرعي، كالمذكور أعلاه وغيرها وذلك: "لصدق اعتنائهم -رضي الله تعالى

---

[١٧٣] ينظر: مجلة العرب ج ٣ و ٤ س١٧ العدد رمضان وشوال ١٤٠٢ في مقالة لحمد الجاسر بعنوان: الآثار الإسلامية في مكة ص ١٦٩و١٧٠ وقد ألقيت هذه المقالة في جامعة أم القرى بعد مغرب الأربعاء ١٣ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ.

عنهم- بما هو أهمّ من حفظ الشريعة، وملء أوقاتهما واكتفاء أعمالهم بما صح من الشريعة ولكن من فرغ منها فإنه يحاول سد ذلك بما لا يثبت ومن هنا تندرس السنن شيئا فشيئا ولا يبقى منها إلا كما يبقى من وشي الثوب، فإن أنكر حينها على مبتدع وغيرت قيل: بدلت سنّة، كما قاله ابن مسعود، رضي الله عنه، والذّب عنها بالسنان واللسان، وكان هذا هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الإسلام، وطمس معالم ومحو ما يرون تعلق العامّة به مما يصرفهم عن التعلق بالله تعالى وتعظيمه وتعظيم ما أمر الله تعالى بتعظيمه كما قطع عمر رضي الله تعالى عنه شجرة البيعة في الحديبية والمذكورة في القرآن في قوله تعالى: {إن الذين يبايعونك تحت الشجرة إنما يبايعون الله ...}[١٧٤].

ويلحق بذلك المساجد المنسوبة كمسجد بيعة العقبة ومسجد الراية ومسجد الإجابة ومسجد الجن..وغيرها من المسميات التي لا تثبت بإسناد صحيح. ولو صحت لما كان لها أي اختصاص أو ميزة عن بقية المساجد الأخرى.

ولا يجوز أخذ شيء من تراب مكة أو حجارتها بقصد التبرك والاستشفاء وغير ذلك مما يفعله بعض الجهلة والعوام.

قال محقق كتاب اقتضاء الصراط المستقيم: "ألا ترى: أن متابعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في أعمالهم أنفع وأولى من متابعتهم في مساكنهم ورؤية آثارهم؟ لو كان للناس في تتبع آثار الأنبياء ومساكنهم وقبورهم

---

[١٧٤] المصنف لابن أبي شيبة(٧٥٤٤) وصحح الحافظ ابن حجر إسناده، فتح الباري (٧ /٥٥٠).

مصلحة دينية أو معاشيه لأرشدنا الله إليها ولما خفيت على الخلق كثير من تللك الآثار والمساكن والقبور"[١٧٥].

[١٧٥] المحقق؛ فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور ناصر العقل. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٦٨).

**ومن الشعائر داخل مكة المكرمة:**

**أولا: الكعبة المشرفة.** وهي بيت الله الحرام في وسط المسجد الحرام، وقد سماها الله تعالى في كتابه العزيز بعدة أسماء:

أ- الكعبة. كما في قوله تعالى: **{جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ}[المائدة:٩٧]** أما قوله تعالى في جزاء الصيد **{ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ }[المائدة:٩٥]** فالمراد به عموم الحرم.

ب- البيت الحرام. كما في الآية السابقة، وورد إطلاق اسم البيت عليها كما في قوله تعالى: **{وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا}[الحج:٢٦]**.

ج- البيت العتيق. كما في قوله تعالى: **{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}**[الحج:٢٩] أي القديم، المعتق من تسلّط الجبابرة عليه.

د- المسجد الحرام. وقد ورد إطلاق المسجد الحرام في القرآن على أربعة وهي:

١-الكعبة نفسها، قال تعالى: **{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُون}**[البقرة:١٤٤].

٢-الكعبة وما حولها من المسجد، قال تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى**

**بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}**[الإسراء:١]. على اعتبار أنه صلى الله عليه وسلم أسري به من الحطيم من المسجد. وقيل: من بيته. وقيل: من بيت أم هاني، ولا تعارض بينها، قال الحافظ: "والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيته وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق"[(١٧٦)].

٣-جميع مكة والحرم، قال تعالى: **{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا}**[الفتح:٢٧]. وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيم}**[التوبة:٢٨]. وقال تعالى:**{ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}**[البقرة:١٩٦]. وتقدم ذلك في أسماء مكة.

وقد خصّ الله الكعبة-البيت الحرام- بخصائص لم تكن لغيرها، ومن أهمّها

---

[(١٧٦)] فتح الباري(٧/ ٢٠٤).

ما خصها الله به من حين بناء إبراهيم عليه السلام إلى اليوم من تعظيمه وتوقيره، وانجذاب القلوب إليه حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن المعلوم أن الملوك وغيرهم يبنون الحصون والمدائن والقصور بالآلات العظيمة البناء المحكم ثم لا يلبث أن ينهدم ويهان والكعبة بيت مبني من حجارة سود بواد غير ذي زرع ليس عنده ما تشتهيه النفوس من البساتين والمياه وغيرها ولا عنده عسكر يحميه من الأعداء ولا في طريقه من الشهوات ما تشتهيه الأنفس بل كثيرا ما يكون في طريقه من الخوف والتعب والعطش والجوع ما لا يعلمه إلا الله" قال: وهذا مما يعلم بالاضطرار أنه خارج عن قدرة البشر وقوى نفوسهم وأبدانهم والذي بناه قد مات من ألوف سنين..إلخ"(١٧٧).

**ومما خص الله تعالى به الكعبة من الفضائل والأحكام ما يلي:**

١- أنها أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض، قال الله تعالى: **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ}**[آل عمران:٩٦].

٢- الطواف حولها: قال تعالى: **{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}**[الحج:٢٩].

ولم يأذن الله لأحد بالطواف على بنيان غير الكعبة -وجعل ذلك ركنا من أركان الحج- وأوجب الشارع على كل حاج أراد الخروج من مكة أن يطوف

---

(١٧٧) الصفدية (١/ ٢٢٠).

بها ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما:(( أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن الحائض )) [١٧٨].

وفي مسلم عنه قال صلى الله عليه وسلم: ((لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت))[١٧٩].

فجعل الشارع الطواف بها أحد أركان الحج والعمرة التي لا تصح إلا به ولا يسقط بحال ولو كان محمولاً.

ومن تعظيم البيت أن يبدأ الحاج او المعتمر بطواف. وهو طواف العمرة أو طواف القدوم للحاج.

ويسن في هذا الطواف الرّمَل[١٨٠] في الأشواط الثلاثة ما عدا ما بين الحجرين. والاضطباع[١٨١] في الأشواطه السبعة. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قَدِمَ مَكَّةَ: أَتَى الْحَجَرَ

---

[١٧٨] صحيح البخاري. ١٧٥٥ (٢ / ٢١٤)صحيح مسلم. باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض. ٣٢٨٤ - (٤ / ٩٣).

[١٧٩]صحيح مسلم باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض. ٣٢٨٣ (٤ / ٩٣).

[١٨٠] الرمل هو الإسراع في المشي مع تقارب الخطى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرمل مثل الهرولة، وهو مسارعة المشي مع تقارب الخطى). مجموع الفتاوى(١٢٢/٢٦).

[١٨١] الاضطباع هو كشف الكتف الأيمن في الإحرام. والرمل والاضطباع متلازمان، فحيث شرع الرمل شرع الاضطباع، وحيث لم يشرع الرمل لم يشرع الاضطباع إلا أن الاضطباع في الأشواط السبعة والرمل في الثلاثة الأولى فقط.

فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ مَشَى عَلَى يَمِينِهِ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا))[١٨٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (وأصحابه اعتمروا من جِعْرَانَة، فاضطبعوا، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم، ووضعوها على عواتقهم، ثم رملوا)) وفي لفظ: ((وقذفوها على عواتقهم اليسرى))[١٨٣].

وعن يَعْلَى بن أمية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ((طاف بالبيت مضطبعاً وعليه بُرْد))[١٨٤].

والأصل في مشروعية الاضطباع والرمل: أن المشركين قالوا ـ قبل دخول النبي وأصحابه مكة في عمرة القضية سنة سبع ـ: إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وَهَنَتْهُم الْحُمَّى، ولقوا منها شدّة، فجلسوا مما يلي الحِجْر. وأمر النبي أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جَلَدَهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم. هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبْقَاء عليهم)[١٨٥].

فرملوا واضطبعوا ليرى المشركون قُوَّتهم بالرمل، وصحة أبدانهم بالاضطباع. قال ابن عباس: ((إنما سعى رسول الله ورمل بالبيت، ليُرِي المشركين

---

[١٨٢] رواه مسلم ١٢١٨ (٢/ ٨٩٣) و سنن الترمذي ٨٥٦ (٣/ ٢٠٢) وغيرهما.

[١٨٣] مسند أحمد ٢٧٩٢(٥/ ١٢)، سنن أبي داود ١٨٨٤(٢/ ١٧٧) وصححه الألباني.

[١٨٤] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح ٨٥٩ (٣/ ٢٠٥).

[١٨٥] رواه البخاري ١٦٠٢ (٢/ ١٥٠)، صحيح مسلم١٢٦٦(٢/ ٩٢٣).

قوَّته))[١٨٦].

وعنه قال: قال النبي لأصحابه حين أرادوا دخول مكة في عمرته بعد الحديبية: ((ثم إن قومكم غداً سيرونكم، فليروكم جُلْداً)) [١٨٧]. فلما دخلوا المسجد استلموا الركن ثم رملوا، والنبي معهم حتى إذا بلغوا إلى الركن اليماني مشوا إلى الركن الأسود، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم مشى الأربع)) . وفي لفظ ((أن النبي اضطبع فاستلم وكبّر، ثم رمل ثلاثة أطواف، وكانوا إذا بلغوا الركن اليماني وتغيّبوا من قريش مشوا، ثم يطلعون عليهم يرملون. تقول قريش: كأنهم الغزلان. قال ابن عباس: فكانت سنة))[١٨٨].

ولذا قال عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الحجر الأسود – كما في البخاري –: (أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ. فَاسْتَلَمَهُ. ثُمَّ قَالَ: فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ ؟ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ)[١٨٩].

–ويودع البيت بطواف وهو طواف الوداع أو الصدر.

ولذلك قال ابن عباس: أمر الناس أن يكون آخر. عهدهم بالبيت إلا

---

[١٨٦] صحيح البخاري ١٦٤٩(٢/ ١٥٩)، صحيح مسلم ١٢٦٦(٢/ ٩٢٣).

[١٨٧] مسند أحمد، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم ٢٨٦٨(٥/ ٥٨).

[١٨٨] سنن أبي داود ١٨٨٩(٢/ ١٧٩) وصححه الألباني.

[١٨٩] صحيح البخاري ١٦٠٥(٢/ ١٥١).

أنه خفف عن الحائض والنفساء.

وكان صلى الله عليه وسلم لما رمى الجمرات الثلاث بعد الزوال من اليوم الثالث عشر نزل إلى مكة فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما كان آخر الليل طاف الوداع ثم صلى الفجر لليوم الرابع عشر ثم توجه الى المدينة.

– والمشروع للطائف أن يكون على طهارة، وهو من تعظيم البيت وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الطهارة من الحدث شرط لصحة الطواف كالصلاة، فكما لا تصح الصلاة من المحدث حتى يتوضأ فكذلك الطواف. قال ابن قدامة:"الطَّهَارَة مِنْ الْحَدَثِ شرط لِصِحَّةِ الطَّوَافِ، فِي الْمَشْهُورِ عَنْ أَحْمَدَ. وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ"(١٩٠).

واستدل الجمهور لهذا القول بعدة أدلة، منها:

١– قال عروة بن الزبير: أخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:(إن أول شيء بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم أنه توضأ ثم طاف)(١٩١).

٢–قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلاةٌ، إلا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ))(١٩٢).

٣–ثبت في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائشة لما

---

(١٩٠) المغني(٣/ ٣٤٣).

(١٩١) صحيح البخاري ١٦٤١ (٢/ ١٥٧)؛ صحيح مسلم ١٢٣٥ (٢/ ٩٠٦).

(١٩٢) رواه الترمذي ٩٦٠ (٣/ ٢٨٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢١).وضعف رفعه بعض أهل العلم. وصحح وقفه على ابن عباس.

حاضت: ((افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي))[١٩٣].

– ولأن السنة صلاة ركعتين بعد نهاية الطواف وهذه لا تكون إلا على طهارة.

–وذهب بعض أهل العلم إلى عدم اشتراط الطهارة للطواف.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "أجمعت الأئمة على مشروعية الوضوء للطواف، ولكن اختلفوا في أنه واجب وشرط لصحته أم لا؟. فقال مالك والشافعي وأحمد والجمهور أنه شرط لصحة الطواف، وقال أبو حنيفة: مستحب وليس بشرط"[١٩٤].

ونصر هذا القول شيخ الإسلام وأطال في الاستدلال له[١٩٥]، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "قال شيخ الإسلام: لم ينقل أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بالطهارة للطواف، وهو قول أكثر السلف. قال:وهو الصحيح"[١٩٦].

– وحذر من منع الطائفين حولها متى شاؤوا كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: ((يا بني عبد مناف! لا تمنعوا أحدا

---

[١٩٣] صحيح البخاري ٣٠٥(١/ ٦٨)، صحيح مسلم١٢١١(٢/ ٨٧٣).

[١٩٤] المنهاج (٤/ ٣٩٦).

[١٩٥] ينظر: الفتاوى الكبرى(١/ ٣٤١).

[١٩٦] ينظر تهذيب سنن أبي داود (١/ ٣٤).

طاف وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار)) [١٩٧].

ويقال: إن أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد الله القسري – والي مكة ذلك الوقت– لما ضاق المسجد بالناس، وهو أول من فرّق بين الرجال والنساء في الصفوف؛ فأجلس عند كل ركن حرساً يفرقون بين الرجال والنساء [١٩٨].

– والطواف أفضل من الصلاة النافلة للغرباء كما قال الجمهور؛ وقال ابن جريج: كنت أسمع عطاءً يسأله الغرباء؛ الطواف أفضل لنا أم الصلاة؟ فيقول: "أما لكم فالطواف أفضل، إنكم لا تقدرون على الطواف بأرضكم"[١٩٩].

٣– ومن خصائص الكعبة أن جعلها تعالى قبلة للمسلمين أحياءً وأمواتاً[٢٠٠] قال تعالى: **{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا**

---

[١٩٧] سنن الترمذي – باب ما جاء في الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لمن يطوف ٨٦٨(٣ / ٢٢٠) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[١٩٨] ينظر؛ أخبار مكة (٢/ ٦٢) والعقد الثمين (٢/ ١٩) وينظر التحفة في أحكام الحج والعمرة للعماري (ص ٤٦٠).

[١٩٩] مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٩٠٢٧ (٥/ ٧٠).

[٢٠٠] وروي مرفوعا، وحسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٧٤٨(٣/ ١٥٤).

**يَعْمَلُون}**[البقرة:١٤٤].

واستثني من ذلك صلاة النافلة على الراحلة؛ فإنه يصلي حيث توجهت تيسيرا على الأمة، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته حيث توجهت، فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة)[٢٠١].

وكذلك الميت إذا وضع في قبره -وكذلك المحتضر- بأن يجعل على شقه الأيمن ووجهه قبالة القبلة. قال ابن حزم رحمه الله: " على هذا جرى عمل أهل الإسلام من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وهكذا كل مقبرة على وجه الأرض لأهل الإسلام"[٢٠٢].

٤- النهي عن استقبالها أو استدبارها عند قضاء الحاجة، ففي الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(( إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا))[٢٠٣].

ويستثنى من كان في البنيان أو بينه وبينها حاجز لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إنما ذلك في الفضاء، فإن كان بينك وبينه شيء يسترك

---

[٢٠١] صحيح البخاري ٤٠٠(١/ ٨٩)؛صحيح مسلم ٧٠٠(١/ ٤٨٦).

[٢٠٢] المحلى(٥/١٧٤).

[٢٠٣]صحيح البخاري ٣٩٤(١ / ١٠٣)، صحيح مسلم. باب الاستطابة.٦٣٢ (١ / ٢٥٩).

فلا بأس"[٢٠٤] والأحوط ألّا يفعله إلا لحاجة.

٥- النهي عن التفل والبصاق تجاه القبلة.

ومن تعظيم القبلة النهي عن البصاق والتفل تجاه القبلة ولا سيما من المصلي أو في المسجد، لما روى أَنَس رضي الله تعالى عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ: إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ - فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ)). ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ، فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: ((أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا)) [٢٠٥].قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى:"هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة"[٢٠٦].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "وهذا التعليل يدل على أن البزاق في القبلة حرام سواء كان في المسجد أو لا، ولا سيما المصلي"[٢٠٧]، فالنهي عن البزاق من المصلي أو في المسجد تجاه القبلة مؤكد، أما إلى جهة القبلة خارج الصلاة، وخارج المسجد، ففيه خلاف، فمن الفقهاء من رخص فيه كالإمام مالك رحمه الله، وجعل النهي المطلق مقيدا بحال الصلاة.

---

[٢٠٤] سنن أبي داود ١١(١/ ٤).

[٢٠٥] صحيح البخاري ٤٠٥(١/ ٩٠).

[٢٠٦] فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٠٨).

[٢٠٧] المرجع السابق.

ومنهم من ذهب إلى المنع، بإطلاق.

ومما ورد في إطلاق النهي: ما ورد عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِم صلّى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ تَفَلَ تُجَاهَ الْقِبْلَةِ: جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ))[٢٠٨]، وجاء عن جماعة من الصحابة والتابعين توقي البصق عن اليمين أيضاً. والله أعلم.

وهذا فيه مشروعية تعظيم الصلاة والقبلة والمساجد واليمين والنهي عما فيه إيذاء للمسلمين.

٦- الصلاة في داخل الكعبة إن أمكن ذلك فقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وصلى بين العمودين اليمانيين[٢٠٩].

ومن لم يتيسر له صلى في الحِجْر مما يلي الكعبة كما أرشد النبي عليه الصلاة والسلام عائشة رضي الله عنها إلى ذلك [٢١٠]. قال النووي رحمه الله: "والجمهور على أن الصلاة في الكعبة تصح فيها النافلة والفرض"[٢١١] لأنه لا دليل على المنع، وما صح في النقل صح في الفرض إلا ما بُيّن، والعلم عند الله عز وجل.

---

[٢٠٨] رواه أبو داود ٣٨٢٤ (٣/ ٣٦١) وابن خزيمة، وقال الأعظمي: إسناده صحيح ١٦٦٣ (٢/ ٦٢)وابن حبان، وقال محققه: على شرط مسلم ١٦٣٩(٤/ ٥١٨) وصححه الألباني.

[٢٠٩] صحيح البخاري ١٥٩٨(٢/ ١٥٠)؛ صحيح مسلم ١٣٢٩(٢/ ٩٦٧).

[٢١٠] وسيأتي في الكلام عن الحجر.

[٢١١] المنهاج شرح صحيح مسلم(٤/٥١٥).

وهنا ينبغي التنبيه إلى أنه ليس من السنة التعلق بأستار الكعبة، ولا جدرانها كما يفعل العامة ولا يستلم شيئا من أركانها غير الحجر الأسود والركن اليماني، لعدم نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة.[٢١٢].فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: (لم أر من الرسول صلى الله عليه وسلم يمسح من البيت إلا الركنين اليمانيين)[٢١٣]، وفي رواية الصحيحين: ((يستلم))[٢١٤]، وقد نقل هذا التعلق عن ابن الزبير ولا يصح، وعن بعض التابعين، ويستثنى من ذلك الملتزم، وسيأتي الكلام عليه لاحقاً.

كما ينبه إلى أنه وإن كان الطواف بالكعبة والسعي مباحاً بالنعال إذا كانت نظيفة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم طاف على الدابة، وأمر بالصلاة بالنعال مخالفة لليهود عند التأكد من نظافتها، والصلاة من أعظم مقامات التعظيم لله تعالى؛ إلّا أنه بعد تغيير أرضيات الحرمين ورصفها بالبلاط الفاخر وفرشها بالسجاد، وحفاظاً على نظافتها ومراعاةً لمشاعر المصلين والطائفين فلعل المصلحة العامة تقتضي خلع النعال عند الدخول إلى الحرمين وسائر المساجد المفروشة إلا من يحتاج إلى الانتعال ويتضرر من السير على البلاط حافياً، وعليه أن يحرص على أن يكون حذاؤه نظيفاً.

ويذكر أن أول من خلع نعليه عند دخول البيت الوليد بن المغيرة فخلع

---

[٢١٢] فتاوى الشيخ ابن باز(٦/٢٣٠).

[٢١٣] سنن أبي داود ١٨٧٤(٢/ ١٧٦).

[٢١٤] صحيح البخاري ١٦٠٩(٢/ ١٥١)؛ صحيح مسلم ١٢٦٩ (٢/ ٩٢٥).

الناس نعالهم في الإسلام[٢١٥].

وكان مجاهد وطاووس يكرهون الدخول إلى البيت بالحذاء؛ وكان طاووس يأتي المسجد فإذا بلغ الباب نزع نعليه، وأخرج نعلاً أخرى فلبسها ودخل[٢١٦].

قال السمعاني: "ولذا جرت عادة المسلمين أنهم يخلعون نعالهم إذا بلغوا المسجد الحرام للحج ويطوفون حفاة"[٢١٧].

وفي قوله تعالى لموسى عليه السلام: **{فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}[طه:١٢]** عدة أقوال في معناها؛ فعن غير واحد من الصحابة والسلف: لأنهما كانتا من جلد حمار غير ذكي، وقيل: إنما أمره بخلع نعليه تعظيماً للبقعة؛ لأن الحفوة أبلغ في التواضع وأقرب إلى التشريف والتكريم وحسن التأدب، وهو الأظهر، وقيل: ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافياً غير منتعل؛ ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان مقدساً، وهذا الأخير ما رجحه شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله تعالى[٢١٨].

ومع كون الكعبة هي أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض – كما تقدم – فقد اختلف العلماء في من بنى البيت أولاً على أقوال، أشهرها:

---

[٢١٥] الفاكهي في أخبار مكة (٢٠٣٩).

[٢١٦] مصنف ابن أبي شيبة (١٤٧٦٤) وينظر التحفة في أحكام الحج والعمرة للعماري (ص ٤٨٢).

[٢١٧] تفسير السمعاني (٣/ ٣٢٣).

[٢١٨] ينظر؛ تفسير الطبري (١٨/ ٢٧٨) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٨)وغيرهما.

١- منهم من قال: إنهم الملائكة، وهو قول أبي جعفر الباقر.

٢- ومنهم من قال: إنه آدم عليه السلام، وهو قول عطاء وسعيد بن المسيب، وممن قال به: ابن الجوزي وابن حجر، ويرجحه الشيخ الأمين الشنقيطي.

٣- وذهبت طائفة إلى أنه إبراهيم عليه السلام، وهو قول ابن تيمية وابن القيم وابن كثير ويرجحه الشيخ العثيمين.

والذي يترجح والعلم عند الله: هو القول الثاني، وأن باني البيت هو آدم عليه السلام، والذي كان من إبراهيم عليه السلام هو تجديد بنائه ورفعه بعد أن تهدم بالطوفان أو بغيره، ومما يدل على ذلك:

أ-قوله تعالى: **{وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود}[البقرة:١٢٥]**، ولا يُعهد إليهما بتطهير البيت إلا وهو موجود قبلهما.

ب-قوله تعالى: **{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ} [البقرة:١٢٧]**، وذِكر رفع إبراهيم عليه السلام للقواعد يدل على أنها موجودة قبله، وإنما عمله الكشف عنها ورفعها، والبناء عليها.

ج-قوله تعالى: **{رَّبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}[إبراهيم:٣٧]**.

د-قوله تعالى **{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود}[الحج:٢٦]**.

فظاهر الآيتين يدل على وجود البيت قبل إبراهيم عليه السلام، بل وعلى لسانه.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله –: فقوله: **{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ}[الحج:٢٦]** أي: هيأناه له، وعرَّفناه إياه؛ ليبنيه بأمرنا على قواعده الأصلية المندرسة، حين أمرْنا ببنائه، كما يُهيأ المكان لمن يريد النزول فيه.. وغاية ما دل عليه القرآن: أن الله بوأ مكانه لإبراهيم ، فهيأه له، وعرفه إياه؛ ليبنيه في محله، وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن أول من بناه إبراهيم ولم يُبن قبله، وظاهر قوله: حين ترك إسماعيل، وهاجر في مكة **{رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}[إبراهيم:٣٧]** يدل على أنه كان مبنيّاً واندرس، كما يدل عليه قوله هنا **{مَكَانَ الْبَيْتِ}[الحج:٢٦]**؛ لأنه يدل على أن له مكاناً سابقاً كان معروفاً، والله أعلم[٢١٩].

٤– كون الكعبة قِبلة الأنبياء قبل إبراهيم عليه السلام. قال ابن عادل الحنبلي، رحمه الله:"فدلّت هذه الأقوال المتقدمة على أن الكعبة كانت موجودةً في زمان آدم عليه السلام، ويؤيده أن الصلوات كانت لازمةً في جميع أديان الأنبياء؛ لقوله: **{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا**

---

[٢١٩] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٢٩٦).

**تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}[مريم:٥٨]**. ولما كانوا يسجدون لله: فالسجود -غالبا- لا بد له من قِبْلَةٍ، فلو كانت قبلة شيث وإدريس ونوح موضعاً آخر سوى القبلة: لبطل قوله: **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ}[آل عمران:٩٦]**، فدلَّ ذلك على أن قبلةَ أولئك الأنبياء هي الكعبةُ"[٢٢٠].

٥-استقبال إبراهيم عليه السلام مكان الكعبة من أجل الدعاء قبل بنائه لها، وتسميته للبيت ووصفه بأنه محرَّم، فقد جاء في حديث ابن عباس المشهور: ((.. فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: رب **{إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم}**[إبراهيم: ٣٧]- حتى بلغ - {يشكرون} [إبراهيم: ٣٧]..))[٢٢١].

والثنيَّة " مكان مرتفع. وهذا الحديث نصٌّ صحيح صريح لا معارض له في أن دعاء إبراهيم عليه السلام هذا إنما كان قبل بناء البيت؛ خلافا لمن ذهب إلى أن هذا الدعاء منه عليه السلام كان بعد بنائه البيت، كما قاله ابن كثير

---

[٢٢٠] اللباب في علوم الكتاب(٥/ ٤٠١).

[٢٢١] رواه البخاري ٣١٨٤ (٤/ ١٤٢).

رحمه الله تعالى.

٦- إخبار الملَك لهاجر أم إسماعيل بوجود مكان البيت وأنه يبنيه زوجها وولدها.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء -، لكانت زمزم عينا معينا " قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله..))[٢٢٢].

ويضاف إلى ذلك: أن حرمة المسجد الحرام كانت يوم خلق الله السموات والأرض، فعنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ (( لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..)) [٢٢٣].

والخلاصة: أن الذي يترجح هو أن آدم عليه السلام باني الكعبة المشرفة، والمسألة ليست من القطعيات، بل الأقوال فيها محتملة؛ ومما لا ينبني عليها شيء من العمل، والعلم عند الله تعالى.

أما نهاية أمر الكعبة فقد ثبت أنه في آخر الزمان ستُهدم الكعبة قال

---

[٢٢٢] رواه صحيح البخاري ٣١٨٤(٤/ ١٤٣).

[٢٢٣] صحيح البخاري ١٨٣٤(٣/ ١٥) صحيح مسلم ١٣٥٣ (٢/ ٩٨٦).

صلى الله عليه وسلم: ((يُخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة))[٢٢٤].

وعند أحمد: ((يبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا، وهم الذين يستخرجون كنزه))[٢٢٥].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (.. ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان، قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله)[٢٢٦] ولهذا وقع في رواية سعيد بن سنان المتقدمة (لا يعمر بعده أبدا).

**ثانيا: ومن المشاعر في الكعبة المشرفة:**

**١-الحجر الأسود**

وهو الحجر الواقع في الركن الشرقي من الكعبة المحاذي للباب، وهو مبتدأ الطواف ومنتهاه، وقد ورد في فضله أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم ))[٢٢٧]. قال المحب الطبري: "فإن

---

[٢٢٤] صحيح البخاري١٥٩(٢/ ١٤٨) صحيح مسلم ٢٩٠٩ (٤/ ٢٢٣٢).

[٢٢٥] مسند أحمد ٧٩١٠ (١٣/ ٢٩٠).

[٢٢٦] فتح الباري(٤/٥١٨).

[٢٢٧] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. ٨٧٧ (٣/ ٢١٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح. وقواه الحافظ ابن حجر بطرقه. فتح الباري(٤/٥١٩) و(٤/٥٢١).

الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد"[٢٢٨].

وشُرع تقبيله أو استلامه باليد إن أمكن، وإلّا بعصا ونحوها، أو الإشارة إليه والتكبير عند محاذاته في بداية كل شوط من الطواف وختام الطواف. والتقبيل إنما يشرع عند ابتداء الطواف فقط[٢٢٩] وكذلك التسمية.

روى البخاري في صحيحه: سأل رجل ابن عمر، رضي الله عنهما، عن استلام الحجر فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله، قال: قلت أرأيت إن زحمت أرأيت إن غلبت قال اجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله "[٢٣٠]. قال الحافظ: "إنما قال له ذلك لأنه فهم منه معارضة الحديث بالرأي، فأنكر عليه ذلك، وأمره إذا سمع الحديث أن يأخذ به ويتقي الرأي"[٢٣١].

وفي مسلم عن سُوَيد بن غفْلة قال: رأيت عمر قبّل الحجر والتزمه[٢٣٢]،

---

[٢٢٨] فتح الباري لابن حجر(٣/ ٤٦٣).

[٢٢٩] مجموعة فتاوى الشيخ ابن إبراهيم (٥/ ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤).

[٢٣٠] صحيح البخاري. ١٦١١(٢ / ١٨٠).

[٢٣١] فتح الباري(٤/٥٢٢).

[٢٣٢] ذكر القرطبي في المفهم أن معنى "التزمه" أي: عانقه. ولعل معناه؛ وضع عليه وصدره تحته ويديه من جانبيه كما يفعل عند الملتزم سواء بسواء، أما النووي ففسره بالسجود عليه، وأورد ملحظا نفيسا في سبب قول عمر حينها " إنك حجر لا تضر ولا تنفع" بأنه؛ "صيانة للتوحيد ودفعا لوهم من ظن نفعه حينما رأى عمر يلتزمه". المفهم لما أشكل من صحيح مسلم(٣/٣٧٩)؛ شرح النووي على مسلم(٩/١٥).

وقال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفياً " [٢٣٣].

وفي البخاري قال عمر بعد أن قبّله: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك "[٢٣٤].

وقال: (قالَ: فَما لَنَا ولِلرَّمَلِ إنَّما كُنَّا رَاءَيْنَا به المشْرِكِينَ وقدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ قالَ: شيءٌ صَنَعَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فلا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ.)[٢٣٥].

وفي البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبر "[٢٣٦].

وللحجر الأسود أربع حالات:

أ- أن يستلم باليد، ويقبّل بالفم مباشرة، عند ابتداء الطواف فقط.

ب- أن يستلم باليد، ثم يقبّل اليد[٢٣٧].

ت- - أن يستلم باليد أو بالعصا ثم تُقبّل اليد أو العصا التي مسّته.

ث- أن يشير إليه من بعيد ويكبر ولا يقبّل ما يشير به.

وعلى المستلم أن يحرص ألّا يؤذي المسلمين ويزاحم ليقبّل أو يستلم قال

---

[٢٣٣] صحيح مسلم. باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف. ٣١٣٠(٤ / ٦٧).

[٢٣٤] صحيح البخاري ١٥٩٧(٢ / ١٤٩).

[٢٣٥] صحيح البخاري ١٦٠٥(٢/ ١٥١).

[٢٣٦] صحيح البخاري ١٦١٢(٢ / ١٥٢).

[٢٣٧] قال عطاء: رأيت أبا سعيد وأبا هريرة وابن عمر وجابرا رضي الله تعالى عنهم إذا استلموا الحجر قَبَّلوا أيديهم، وبهذا قال الجمهور. فتح الباري(٤/٥٣٧).

صلى الله عليه وسلم: (( ياعمر إنك رجل قوي، لا تزاحم على الحَجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله فهلل وكبّر))[٢٣٨]،

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "إذا وجدت على الركن زحاما فلا تؤذ أحدا"[٢٣٩]. وروى الفاكهي وغيره من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كراهة المزاحمة وقال: "لا يؤذي ولا يؤذى"[٢٤٠].

ويتأكد ذلك بالنسبة للنساء فيحرم مزاحمة الرجال لأجل الاستلام، فعن عائشة رضي الله عنها أنها دخلت عليها مولاة لها فقالت لها يا أم المؤمنين طفت بالبيت سبعا واستلمت الركن مرتين أو ثلاثا. فقالت عائشة: لا آجرك الله لا آجرك الله، تدافعين الرجال! ألا كبّرتِ ومررت)[٢٤١] وقد أدركت عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى امرأة أرادت أن تستلم فصاح بها وقال: "لا حق للنساء في استلام الركن"[٢٤٢] يعني عند وجود الرجال الأجانب والزحام.

وورد في صفة التكبير عن ابن عمر عند استلام الحَجر: "بسم الله والله أكبر"[٢٤٣]، ويشير بيد واحدة. ولا يشير بيديه كتكبيره في الصلاة، ولا

---

[٢٣٨] رواه أحمد١٩٠والبيهقي(٥/٨٠) بإسناد حسن.

[٢٣٩] مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٨٩٠٨(٥/ ٣٦).

[٢٤٠] الفاكهي في أخبار مكة(١٣٣) وابن أبي شيبة(١٣١٦٤) وينظر: فتح الباري(٢/٥٤٢).

[٢٤١] أخرجه الشافعي في كتاب الحجة (٢/٢٥٨)، والبيهقي (٥/٨١).

[٢٤٢] أخبار مكة للأزرقي (١/ ٣٣٧).

[٢٤٣] السنن الصغير للبيهقي (٢/ ١٧٣).

يستقبله عند التكبير لأن الأصل في الطواف أن يجعل البيت على يساره. ويظهر أن البسملة في ابتداء الطواف فقط، وهو اختيار الشيخين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله تعالى، والعلم عند الله.

## ٢-الركن اليماني

وهو الركن الجنوبي الغربي فيسنّ استلامه دون تقبيله، ولا يكبر محاذاته ولا يشير إليه لمن لم يتيسر له استلامه ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: (لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين) [٢٤٤] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم "إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا"[٢٤٥].

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طاف الطواف الأول خَبّ ثلاثا ومشى أربعا، وكان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة فقلت لنافع: "أكان عبد الله يمشي إذا بلغ الركن اليماني قال: لا، إلا أن يُزاحَم على الركن فإنه كان لا يدعه حتى يستلمه" [٢٤٦]. قال الإمام النووي رحمه الله: "أجمعت الأمة على مشروعية استلام

---

[٢٤٤] تقدم تخريجه.

[٢٤٥] مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٨٨٧٧(٥/ ٢٩)،مسند أحمد-وحسنه محققه-٥٧٠٢(٩/ ٥١٣).

[٢٤٦] صحيح البخاري ١٦٤٤(٢ / ١٥٨).

الركنين اليمانيين، وهما الركن اليماني والحجر الأسود"[٢٤٧].

فالبيت له أربعة أركان:

الأول: الركن الشرقي المحاذي للباب، له فضيلتان؛ كون الحجر الأسود منه وكونه على قواعد إبراهيم عليه السلام، ولذا شرع تقبيله واستلامه والإشارة إليه.

الثاني: الجنوبي الغربي – الركن اليماني –: له فضيلة؛ كونه على قواعد إبراهيم، ولذا شرع استلامه أو الإشارة إليه دون تقبيله.

الثالث والرابع: جهة الحِجر –الحجر الركن العراقي والشامي–: ليس لهما شيء منها، لذلك يقبّل الأول ويُستلم الثاني ولا يُقبل الآخران ولا يُستلمان[٢٤٨].

### ٣– الملتزم

وهو اسم على المكان من الكعبة ما بين بابها والحجر الأسود، وهو مكان الالتزام من الكعبة، روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: " هذا الملتزم بين الركن والباب"[٢٤٩].

ولم يثبت –فيما نعلم– دليل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في التزامه لكن ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا يلتزمونه حين يدخلون مكة.

---

[٢٤٧] المنهاج(٤/٤٣٢).

[٢٤٨] ينظر المنهاج(٤/٥٤٠).

[٢٤٩] مصنف عبد الرزاق – باب التعوذ بالبيت ٩٠٤٧ (٥ / ٧٦).

ويدعون بحيث يضع الداعي عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه، ويسأل الله حاجته، وروي ذلك عن عبدالله بن الزبير وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين[٢٥٠].

### ٤- الحِجْر

وهو الحائط الواقع شمال الكعبة على شكل نصف دائرة، ويسمّى الحطيم، وهو جزء من الكعبة وذلك أن قريشا حين بنت الكعبة قصرت بها النفقة ولم يحصل البناء على قواعد إبراهيم كاملة وحجرت على مواضع أساس إبراهيم لذلك سمّي الحِجْر.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الحجر من البيت وأن من صلى فيه كمن صلى داخل الكعبة؛ فروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ماتركوا منه ))، فأراها قريبا من سبعة أذرع"[٢٥١] مما يلي جدار الكعبة الشمالي. وقد حدّه شيخ الإسلام بما كان قبل بدء الاستدارة شمالا[٢٥٢] بمعنى أن الاستدارة ليست من البيت.

---

[٢٥٠] ينظر مصنف ابن أبي شيبة (١٣٧٧٨) والفاكهي في أخبار مكة (١٦٦/١)، ومجموع الفتاوى (١٤٢/٢٦)، وتلخيص الحبير (٩٠٦/٢)، ونسبه إلى عبد الرزاق، وصحح إسناده.

[٢٥١] صحيح مسلم. باب نقض الكعبة وبنائها. ٣٣١٠ (٤ / ٩٩).

[٢٥٢]

فهذا هو القدر الذي حدده النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان البناء الذي حول الحِجْر اليوم أكبر من هذا التقدير، فيتحرَّى المصلي القدر المحدّد في الحديث[٢٥٣].

ومما يدل أيضا على أن الحِجْر من البيت ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الحِجْر من البيت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت من ورائه قال تبارك وتعالى: { وليطوفوا بالبيت العتيق}[الحج:٢٩][٢٥٤].

ويدل على أن الصلاة فيه صلاة داخل الكعبة ما روى أبو داود والترمذي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني الحِجْر وقال لي: ((صلي في الحِجْر إذا أردت فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت ))[٢٥٥].

ونظرا لما تقدم فيجب على الطائف بالكعبة أن يطوف من وراء الحِجْر لا من داخله لأنه جزء من البيت. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "أيها الناس؛ اسمعوا مني ما أقول لكم، وأسمعوني ما تقولون ولا تذهبوا فتقولوا: قال

---

[٢٥٣] لقائل أن يقول: بما أن الزائد المستدير ليس من البيت، فعلام وضع أصلا؟ لعله وضع حدا وحريما لما لم يُبنَ. وهذا أوجَه، والله أعلم.

[٢٥٤] المستدرك على الصحيحين – كتاب المناسك ١٦٨٨ (١ / ٦٣٠) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه هكذا.

[٢٥٥] سنن أبي داود. باب في الحجر ٢٠٣٠ (٢ / ١٦٣)سنن الترمذي – الصلاة في الحجر ٨٧٦ (٣ / ٢٢٥) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

ابن عباس: من طاف البيت فليطف من وراء الحِجر ولا تقولوا: الحطيم، فإن الرجل في الجاهلية كان يحلف فيلقي سوطه أو نعله أو قوسه"[٢٥٦].

قال الحافظ: "والمعنى أنهم كانوا إذا حالف بعضهم بعضا ألقى الحليف في الحِجر نعلا أو سوطا أو قوسا أو عصا علامة لعقد حلفهم فسموه الحطيم لذلك"[٢٥٧]. وقيل: لكونه كان محطما حينما رفع الناس الكعبة فبقي دون أن يرفع.. وقيل غير ذلك.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث الإسراء: (بينما أنا في الحطيم، وربما قال: في الحجر- مضطجعا إذ أتاني آتٍ .. الحديث)[٢٥٨].

ومن الأخطاء الشائعة تسميته بحجر إسماعيل عليه السلام، والأشنع أن يزعم أن فيه قبر إسماعيل عليه السلام وهاجر[٢٥٩].

**ثالثاً: مقام إبراهيم**

وهو الحَجَر الذي كان يقوم عليه إبراهيم لبناء الكعبة وابنه يناوله الحجارة ويدعوان الله تعالى عليهما السلام، قال عز وجل:**{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}**

---

[٢٥٦] صحيح البخاري ٣٨٤٨ (٥/ ٤٤).

[٢٥٧] فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٥٩).

[٢٥٨] صحيح البخاري ٣٨٨٧ (٥/ ٥٣).

[٢٥٩] جمهرة اللغة (١/ ٤٣٦).

وذكر البخاري، رحمه الله، في قصة بناء الكعبة: " فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:{ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم} [البقرة: ١٢٧]"[٢٦٠].

وقد ذكر الله تعالى المقام في موضعين من كتابه العزيز:

أ- قال تعالى: **{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين}**[آل عمران:٩٧].

ب- وقال تعالى: **{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود}**[البقرة:١٢٥].

ويقال: إن هذا المقام هو مكان نداء إبراهيم في الحج، وقيل: مقام إبراهيم: الحج كلّه، وقيل: عرفة والمزدلفة والجمار. وقيل: عرفة. وقيل: الحرم. قال أبو جعفر الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا، ما قاله القائلون: إن"مقام إبراهيم"، هو المقام المعروف بهذا الاسم، الذي هو في المسجد الحرام"[٢٦١].

وعند قوله تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} قال: فيه علاماتٌ

---

[٢٦٠] صحيح البخاري٣٣٦٤(٤/ ١٤٤).

[٢٦١] تفسير الطبري (٢/ ٣٦).

بيناتٌ من قدرة الله وآثار خليله إبراهيم، منهن أثر قَدَم خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم في الحجر الذي قامَ عليه[٢٦٢].

وقال البغوي: "كَانَ أَثَرُ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ بَيِّنًا فِيهِ فَانْدَرَسَ مِنْ كَثْرَةِ الْمَسْحِ بِالْأَيْدِي"[٢٦٣].

وقال أبو طالب في لاميته المشهورة:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة*** على قدميه حافيا غير ناعل[٢٦٤]

وتعظيم المقام إنما يكون بالصلاة عنده كما في حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول – ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم –: كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون)[٢٦٥].

فالصلاة خلفه بعد الطواف سنة إن تيسر، وإلا تباعد عن زحام الطائفين، وقد صلاها عمر بذي طوى خارج المسجد[٢٦٦]، وكذلك أم سلمة صلتها

---

[٢٦٢] تفسير الطبري(٦/ ٢٩).

[٢٦٣] تفسير البغوي(١/ ١٦٣).

[٢٦٤] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب(٢/ ٦٢).

[٢٦٥] صحيح مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٨٧).

[٢٦٦] صحيح البخاري (٢/ ١٥٥).

خارج المسجد الحرام لطواف الوداع[٢٦٧].

فعلم من ذلك أن ما يفعله الجهال من مزاحمة الطائفين وعرقلة طوافهم لأجل الصلاة خلف المقام غير سديد؛ لإمكانية أداء السنة بدون إيذاء الطائفين.

ومن التعظيم لهذه الشعيرة أنه يسنّ أن يقرأ في الصلاة خلفه بسورتي الإخلاص لتحقيق التوحيد الذي هو أهمّ مقاصد الحج لما ورد في حديث جابر رضي الله عنه (فكان أبي يقول – ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم –: كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون)[٢٦٨].

وقد جرفت السيول(سيل أم نهشل) المقام في عهد عمر رضي الله عنه فأعاده عمر.

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا هل أعاده إلى مكانه الذي كان عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر أو أنه أخّره قليلا توسعة للطائفين، والله أعلم.

وينبني على ذلك هل المقصود بالصلاة عند المكان الذي كان فيه الحَجَر؟

---

[٢٦٧] صحيح البخاري ١٦٢٦(٢/ ١٥٤).

[٢٦٨] صحيح مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٨٧). وذكر الخطيب البغدادي في الفصل أن قراءة السورتين مدرج في الخبر، لأن الحديث رواه جماعة عن جعفر بن محمد ولم يذكروا في الحديث قراءة السورتين. والله أعلم.

أو الحَجَر نفسه حتى لو تغير عن مكانه؟ كلا الأمرين محتمل والعلم عند الله.

وكانت الصلاة خلف المقام من الموافقات التي وافق فيها عمر ربه تبارك وتعالى، لأن عمر رضي الله عنه كان قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الآية لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} [البقرة: ١٢٥] [٢٦٩].

ومن البدع المتعلقة بالمقام التمسّح والتبرّك به، روى ابن أبي شيبة أن ابن الزبير رأى قوما يمسحون المقام[٢٧٠] فقال: (لم تؤمروا بهذا، إنما أمرتم بالصلاة عنده) [٢٧١].

وقال قتادة رحمه الله: " إنما أمروا أن يصلّوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، وقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه، فما زالت هذه الأمم يمسحونه حتى اخلولق وانمحى"[٢٧٢].

**رابعا: ومما خص الله به هذه البلدة المباركة ماء "زمزم ":**

وزمزم مشتق من الزمزمة وهو صوت الماء إذا ظهر[٢٧٣]. قيل: سميت بذلك لكثرة مائها، وقيل لضم هاجر لمائها حين انفجرت وزمها إياه، لأنها كانت

---

[٢٦٩] صحيح البخاري ٤٠٢(١/ ٨٩)؛صحيح مسلم ٢٣٩٩(٤/ ١٨٦٥).

[٢٧٠] تأمل مسارعة الجهال للبدع منذ عصر صغار الصحابة.

[٢٧١] مصنف ابن أبي شيبة ١٥٥١٢(٣/ ٤١٦).

[٢٧٢] تفسير الطبري(٢/ ٣٥).

[٢٧٣] غريب الحديث لابن قتيبة(٢/٥٠٢).

تقول: زم زم للماء. تحوطه وتحوضه. وقيل: لزمزمة جبريل عليه السلام وكلامه عند فجره إياها[٢٧٤]، وهو اسم للبئر المباركة الواقعة داخل المسجد الحرام شرقي الحجر الأسود وجنوبي المقام، وقد ورد في نشأتها حديث قصة بناء الكعبة-أو رفعها- أن أم إسماعيل لما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه تريد نفسها ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا قَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوْثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ يَبْحَثُ بِعَقِبِهِ أَوْ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَاءَتْ تُحَوِّضُهُ هَكَذَا وَتَقُولُ بِيَدِهَا، وَجَعَلَتْ، يَعْنِي تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بِقَدْرِ مَا تَغْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْتَرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا، فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ الْمَلَكُ: لاَ تَخَافِي الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتَ اللهِ، يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلاَمُ وَأَبُوهُ وإن الله لا يضيع أهله"[٢٧٥].

**ومن فضائل هذا الماء:**

أ- أنه خير ماء على وجه الأرض، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم)) [٢٧٦].

ب- ماء زمزم لما شرب له؛ كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله

---

[٢٧٤] المنهاج شرح مسلم(٤/٤٦٦).

[٢٧٥] صحيح البخاري ٣٣٦٤(٤/ ١٤٣).

[٢٧٦] المعجم الكبير للطبراني١١١٦٨(١١/٩٨).

عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ماء زمزم لما شرب له))[٢٧٧].

يوضحه الحديث الآخر: ((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ، إِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ اللَّهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِشِبَعِكَ أَشْبَعَكَ اللَّهُ بِهِ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللَّهُ، وَهِيَ هَزَمَةُ جِبْرِيلَ وَسُقْيَا اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ)) [٢٧٨] فهو طعام طعم وشفاء سقم كما في حديث أبي ذر وقصة إسلامه وبقائه في مكة ثلاثين يوما، يقول: "لبثت يا ابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع" فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنها مباركة إنها طعام طعم))[٢٧٩] زاد أبو داود الطيالسي((ودواء سقم))[٢٨٠]. وذكر كثير من العلماء تجربة الاستشفاء به منهم ابن القيم رحمه الله[٢٨١].

ت- مشروعية التضلع من ماء زمزم لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن آية ما بيننا، وبين المنافقين،

---

[٢٧٧] مسند أحمد١٤٨٤٩(٢٣/ ١٤٠)؛سنن ابن ماجه ٣٠٦٢(٢/ ١٠١٨) المستدرك على الصحيحين ١٧٣٩(١/ ٦٤٦) قال الحاكم: صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي، ولم يخرجاه. وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ١١٢٣(٤/ ٣٢٠).

[٢٧٨] سنن الدارقطني ٢٧٣٩(٣/ ٣٥٤)؛المستدرك على الصحيحين ١٧٣٩(١/ ٦٤٦).

[٢٧٩] صحيح مسلم. باب من فضائل أبى ذر رضى الله عنه. ٦٥١٣ (٧ / ١٥٢).

[٢٨٠] مسند الطيالسي٤٥٩(١/٣٦٤).

[٢٨١] زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٦٤).

إنهم لا يتضلعون، من زمزم))[٢٨٢].

وذلك لأن ماء زمزم يميل إلى الملوحة وليس عذباً فإنه لا يشربه إلا من كان محتسبا، أما المنافق فلا يصبر عليه ولا يستسيغه. وقد سأل الحافظ ابن حجر الشيخ ابن عرفة حين اجتماعه به في مصر عن ماء زمزم لِمَ لم يكن عذباً؟ فأجابه ابن عرفة: "إنما لم يكن عذباً ليكون شربه تعبداً، لا تلذذاً" فاستحسن ابن حجر جوابه، وطرب له[٢٨٣].

والتضلع أن يكثر من الشرب منه حتى تمتد أضلاعه [٢٨٤].

ث- ومن بركته غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم به.

كما في البخاري عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه)) [٢٨٥] وعن مجاهد قال:(كان ابن عباس إذا نزل به ضيف أتحفه من ماء زمزم )[٢٨٦].

---

[٢٨٢] سنن ابن ماجه ٣٠٦١(٢/ ١٠١٧)؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم ١٧٣٨(١/ ٦٤٥) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه إن كان عثمان بن الأسود سمع من ابن عباس.

[٢٨٣] مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام (٢/ ٩٤).

[٢٨٤] النهاية في غريب الحديث والأثر(٣/٨٩).

[٢٨٥] صحيح البخاري . باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء.٣٤٩ (١ / ٩٧).

[٢٨٦] أخبار مكة ص(١٠٦٤).

**خامساً: ومن شعائر الله في مكة: "الصفا والمروة"**

وهما الجبلان الصغيران المعروفان في طرفي المسعى شرق الكعبة، وهما من شعائر الله الظاهرة، ومن معالم دينه البارزة التي صرنا متعبدين بالسعي بينهما سبعة أشواط لكل من أحرم بالنسك الأكبر وهو الحج، أو الأصغر وهو العمرة، والسعي بينهما ركن من أركان الحج والعمرة[٢٨٧] قال تعالى: **{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيم}**[البقرة:١٥٨]، وقوله تعالى:{فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} فهذا إنما هو لرفع توهم الحرج عن الطواف بهما لكونها في الجاهلية تعبد عندها الأصنام، فنفى تعالى الجُناح لدفع هذا الوهم لا لأنه غير لازم.

وفي البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة فقال: "كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى: **{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ}[البقرة:١٥٨]**"[٢٨٨].

كما روى البخاري محاورة عائشة لعروة رضي الله عنهما في معنى الآية وسبب نزولها وتحرج الأنصار من الطواف بهما في الجاهلية وسؤالهم النبي صلى

---

[٢٨٧] قال الإمام النووي: "مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج، لا يصح إلا به، ولا يجبر بدم ولا غيره" المنهاج(٤/٤٤٠).

[٢٨٨] صحيح البخاري ٤٤٩٦ (٦/ ٢٣).

الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله الآية. [٢٨٩].

والمسعى خارج المسجد لذا يجوز دخوله للحائض وإذا التحمت الصفوف، فالصلاة فيه كالصلاة في المسجد، فالمسعى من المسجد بوجه وليس منه بوجه، وحكى المنذري: الإجماع على عدم اشتراط الطهارة للسعي[٢٩٠].

ومن تعظيم الله عند هذا المشعر أن يفعل مثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيبدأ بالصفا ويتمثّل قوله صلى الله عليه وسلم(( أبدأ بما بدأ الله به))[٢٩١]. ثم يقرأ الآية **{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيم}**[البقرة:١٥٨]. ويرقى الجبل ثم يستقبل القبلة ويحمد الله ويكبره ويهلله ويدعو كثيرا رافعا يديه، مستقبلاً بطونها بوجهه، ثم ينزل فيمشي إلى المروة ويسعى بين العلمين، ثم يمشي ويذكر الله ويدعو حتى يصل إلى المروة فيفعل عندها كما فعل عند الصفا غير أنه لا يقرأ الآية، ثم ينزل متجها إلى الصفا، وهذا شوط يكرره سبع مرات.

**سادساً: ومن الشعائر المكانية في مكة "عرفات"**

وهو المشعر الأقصى من مشاعر الحج، ويسمّى المشعر الحلال لأنه المشعر الذي يقع خارج حدود الحرم، ذكره الله تعالى في كتابه العزيز فقال تعالى:

---

[٢٨٩] صحيح البخاري ١٦٤٣(٢/ ١٥٨) وينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٩).

[٢٩٠] الإجماع (ص٥٦) وحكاه ابن عبد البر في الاستذكار(٤/٢٠٧).

[٢٩١] صحيح مسلم١٢١٨(٢/ ٨٨٧).

**{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّين}**[البقرة:١٩٨].

يطلق عليه (عرفات) كما في الآية الكريمة، ويطلق عليه(عرفة) كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((الحج عرفة))[٢٩٢] ومدلولهما واحد، وفرّق بعضهم بأن الموقف "عرفات" واليوم "عرفة"، لكن يشكل عليه حديث:((وقفت هنا وعرفة كلها موقف))[٢٩٣].

وعرفات اسم في لفظ جمع وليس ثمّة أماكن متعددة كلٌّ منها عرفة لتُجمع على عرفات[٢٩٤]ولعلها جمعت لقصد التعظيم.

ومن تعظيمه أن الله تعالى أوجب على جميع الحجاج أن يقفوا في هذا المشعر العظيم في اليوم التاسع من ذي الحجة من زوال الشمس إلى غروبها ويستمر الوقوف إلى الفجر لمن لم يتمكن من الوقوف نهارا.

والوقوف بعرفة آكد أركان الحج ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الحج عرفة)) كما تقدم. فمن لم يدرك الوقوف فاته الحج.

وفي صعيد عرفة يوجد جبل (إلال) على وزن هلال، ويسمى جبل الرحمة والقُرين تصغير "قرن" قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

---

[٢٩٢] مسند أحمد ١٨٧٧٤(٣١/ ٦٤) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[٢٩٣] صحيح مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٩٣).

[٢٩٤] تفسير الألوسي(١/ ٤٨٣).

وبالمشعر الأقصى إذا قصدوا له *** إلال إلى تلك الشراج القوابل[٢٩٥]

وقف النبي صلى الله عليه وسلم عند هذا الجبل وقال:((وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف))[٢٩٦].

يشرع الوقوف في هذا المشعر لذكر الله تعالى وتكبيره وتهليله وتسبيحه، والدعاء والتضرع لله تعالى فيه حتى قيل إنها سميت عرفات لاعتراف[٢٩٧] الناس بذنوبهم فيها، وتوبتهم منها وإقالة عثراتهم فيها، وقيل غير ذلك.

وقد كانت قريش لا تقف في عرفات، وإنما يقفون في طرف الحرم عند أدنى الحلّ ويقولون: نحن أهل الله في بلدته وقطّان بيته. روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحُمْس، وسائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس}[٢٩٨].

فكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم مخالفة المشركين في هديهم وإعادتهم إلى ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بما في ذلك المناسك وتعظيم الشعائر، وقبل ذلك التوحيد**{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ**

---

[٢٩٥] الروض الأنف في شرح غريب السير (٢/ ٢٠).

[٢٩٦] صحيح مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٩٣).

[٢٩٧] لكن القياس لا يسعف هذا الاشتقاق فهي من المعرفة لا من الاعتراف وإلا لسميت اعترافات.

[٢٩٨] صحيح البخاري ٤٥٢٠(٦/ ٢٨).

**الْمُشْرِكِين}[النحل: ١٢٠].**

وتقدم الكلام على فضل هذا اليوم عند الحديث عن الشعائر الزمانية، ومنها يوم (عرفة).

**سابعاً: المزدلفة.**

وهي المشعر الحرام كما سمّى الله تبارك وتعالى في قوله: **{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّين}**[البقرة:١٩٨].

وسميت بالمشعر الحرام لأنها داخل الحرم بخلاف عرفات فهي المشعر الحلال لأنها خارج الحرم، كما تقدم.

كما تسمى جمع لاجتماع الناس فيها بعد الإفاضة من عرفات، سمّاها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: ((وقفت هاهنا وجمع كلها موقف))[٢٩٩].

وقيل لعطاء: أين المزدلفة؟ فقال: إذا أفضت من مأزمي عرفة فذلك إلى وادي محسر، قال: "وليس المأزمان -مأزما عرفة- من المزدلفة ولكن مفاضاهما"[٣٠٠].

وفيها جبل (قُزَح) قيل هو المشعر الحرام، وقال ابن عمر: هو الجبل وما

---

[٢٩٩] صحيح مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٩٣).

[٣٠٠] تفسير الطبري(٤/ ١٧٧).

حوله.

واستدل بعض العلماء على أن (عند) في الآية{عند المشعر الحرام} تدل على ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف عند الجبل وقال: ((وقفت هاهنا وجمع كلها موقف)) كما تقدم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رآهم يزدحمون على قزح فقال: "علام يزدحم هؤلاء، كل ما هاهنا مشعر"[٣٠١].

**والمشروع في المزدلفة:**

- صلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا.

- المبيت فيها إلى الفجر، ورخص النبي صلى الله عليه وسلم للضعفة بالانصراف آخر الليل[٣٠٢].

- الوقوف للتضرع والذكر والدعاء مع رفع اليدين من صلاة الفجر إلى قبيل طلوع الشمس، ثم الانصراف إلى منى قبل طلوع الشمس.

قال الله تعالى: **{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**[البقرة: ١٩٩]، وسَبَبُ نُزُولِها أنَّ قُرَيْشًا كانُوا يَقِفُونَ يَوْمَ عَرَفَةَ بِالمُزْدَلِفَةِ، ويَقُولُونَ: نَحْنُ قُطّانُ بَيْتِ اللَّهِ، ولا يَنْبَغِي لَنا أنْ نَخْرُجَ مِنَ الحَرَمِ؛ لِأنَّ عَرَفاتَ خارِجٌ عَنِ الحَرَمِ وعامَّةُ النّاسِ يَقِفُونَ بِعَرَفاتٍ، ((فَأمَرَ اللَّهُ النَّبِيَّ

---

[٣٠١] تفسير الطبري(٤/ ١٧٨).

[٣٠٢] صحيح البخاري ١٦٧٩(٢/ ١٦٥)، صحيح مسلم ١٢٩١(٢/ ٩٤٠).

ﷺ والمسْلِمِينَ، أنْ يُفِيضُوا مِن حَيْثُ أفاضَ النّاسُ))[٣٠٣]، وهو عَرَفاتٌ لا مِنَ المزْدَلِفَةِ كَفِعْلِ قُرَيْشٍ.

وَهَذا هو مَذْهَبُ جَماهِيرِ العُلَماءِ، وحَكى ابْنُ جَرِيرٍ عَلَيْهِ الإجْماعَ، وعَلَيْهِ فَلَفْظَةُ "ثُمَّ" لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ بِمَعْنى عَطْفِ جُمْلَةٍ عَلى جُمْلَةٍ، وتَرْتِيبِها عَلَيْها في مُطْلَقِ الذِّكْرِ..[٣٠٤].

وَقالَ بَعْضُ العُلَماءِ: المرادُ بِقَوْلِهِ ﴿ثُمَّ أفِيضُوا﴾ الآيَةَ؛ أيْ: مِن مُزْدَلِفَةَ إلى مِنًى، وعَلَيْهِ فالمرادُ بِالنّاسِ إبْراهِيمُ. قالَ ابْنُ جَرِيرٍ في هَذا القَوْلِ: ولولا إجماع من وصفت إجماعه على أن ذلك تأويله. لقلت: أولى التأويلين بتأويل الآية ما قاله الضحاك من أن الله عنى بقوله:" من حيث أفاض الناس"، من حيث أفاض إبراهيم[٣٠٥]. قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:" ولما كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذُكر، والمذكورات آخر المناسك؛ أمر تعالى بعد الفراغ منها باستغفاره؛ خشية الخلل الواقع من العبد في أداء العبادة وتقصيره فيها، وبالإكثار من ذكره؛ شكرا له على نعمة التوفيق لهذه العبادة العظيمة وتكميلها"[٣٠٦].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "كَثِيرًا مَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ بَعْدَ قَضَاءِ

---

[٣٠٣] صحيح البخاري٤٥٢٠(٦/ ٢٨).

[٣٠٤] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٩٠).

[٣٠٥] تفسير الطبري (٤/ ١٩٠).

[٣٠٦] تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ١٠٣).

الْعِبَادَاتِ؛ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ يَسْتَغْفِرُ ثَلَاثًا.."[٣٠٧].

وقال تعالى: {وَبِالأسْحارِ هم يَسْتَغْفِرُون}قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم[٣٠٨].

وبالجملة فهذا حال العبد المؤمن مع ربه في جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفي هذا المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقيب كل عمل صالح.

وإذا وردَ الحثُّ على الاستغفار بعد الطاعات، فإنه بعد المعاصي والتقصير أولى.

**ثامناً: مشعر منى**

بكسر الميم وهو الوادي الواقع شرق مكة، تحيط به الجبال، يقع بين وادي محسّر شرقا جهة المزدلفة، وجمرة العقبة غربا جهة مكة، وهو موضع أداء أكثر شعائر الحج من المبيت والرمي والذبح، وسميت(منى): لما يمنى فيها من دماء القرابين، وهذا المشعر هو مُستقَرّ الحجيج، يقضون فيه أيام التشريق المعدودات.

وقد جاءت الإشارة إلى هذا المشعر في القرآن الكريم من غير تصريح بالاسم كما في قوله تعالى: **{وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ}[البقرة:٢٠٣]**وهي

---

[٣٠٧] تفسير ابن كثير(١/ ٥٥٦).

[٣٠٨] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٢٤).

أيام التشريق، أيام منى، قال القرطبي رحمه الله: "ولا خلاف بين العلماء أن الأيام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى، وهي أيام التشريق"[٣٠٩].

أما في السنّة فتكرر اسم(منى) في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها: ((ومنى كلها منحر)) [٣١٠].

وفي منى مسجد الخيف، قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: (( صلى في مسجد الخيف سبعون نبيّا)) [٣١١].

وفيه من الشعائر الجمرات الثلاث، يبدأ وقت الرمي لجمرة العقبة فقط من منتصف ليلة العيد، أو عند مغيب القمر كما في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها[٣١٢] وهذا يكون عند أول الثلث الأخير من الليل، ويستمر طيلة النهار والليل، والسنة للأقوياء ألّا يرموا إلا بعد شروق الشمس.

أما أيام التشريق وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر فلا يبدأ الرمي إلا بعد الزوال؛ يبدأ بالصغرى التي تلي منى، ثم التي تليها، ويختم بجمرة العقبة، وتمتاز جمرة العقبة بأربعة أشياء:

---

[٣٠٩] تفسير القرطبي (٣/ ١).

[٣١٠] صحيح مسلم١٢١٨(٢/ ٨٩٣).

[٣١١] المعجم الكبير للطبراني ١٢٢٨٣(١١/ ٤٥٢)؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم٤١٦٩(٢/ ٦٥٣) وحسّنه المنذري في الترغيب والترهيب١٧٣٦(٢/ ١١٧)، وفي حديث واهٍ( قبر) ولا يصح، وقد تعلق به بعض القبوريين.

[٣١٢] صحيح البخاري ١٦٧٩(٢/ ١٦٥).

أ- اختصاصها بيوم النحر. فلا يرمى يوم النحر إلا هي.

ب- لا يوقف عندها للدعاء في جميع الأيام.

ج- ترمى ضحى يوم العيد فقط، ويستمر وقت رميها إلى فجر اليوم التالي، أما بقية الأيام فيكون بعد الزوال.

د- ترمى من أسفلها استحبابا.

وتقدم بيان فضل أيام التشريق والعمل فيهنّ في الشعائر الزمانية.

**شعيرة النسك والذبح تقرباً لله تعالى**

ومن الشعائر العظيمة المتعلقة بهذا الزمان (يوم النحر) والمكان (منى):

شعيرة النسك وذبح القرابين تقرباً لله تعالى؛ قال الله تعالى **{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}[الأنعام:١٦٢]** وقال تعالى **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر}[الكوثر:٢]** أيْ: أَخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ وَذَبِيحَتَكَ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تعالى بِمُخَالَفَتِهِمْ وَالِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى[٣١٣].

وَقَالَ الْحَسَنُ: نُسُكِي دِينِي. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: عِبَادَتِي، وَمِنْهُ النَّاسِكُ الَّذِي يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ. وَقَالَ قَوْمٌ: النُّسُكُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعُ أَعْمَالِ (الْبِرِّ)

---

[٣١٣] تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٢).

وَالطَّاعَاتِ، مِنْ قَوْلِكَ نَسَكَ فُلَانٌ فهو ناسك، إذا تعبد [٣١٤]. وعلى هذا المعنى يدخل نسك الذبح فيه دخولاً أولياً، وقد يكون النسك هنا مقصوراً على القربان الدموي (الذبح) بدليل قوله تعالى: **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}[الحج:٣٤]**.

وقرن تعالى شعيرتي الصلاة والنسك في الآيتين دليل على أهميتهما وعظيم منزلتهما عند الله تعالى، وهي من الشرائع المشتركة بين الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}[الحج:٣٤]**.

و(منسكاً): أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له منسك.

والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكا، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: **{لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}[الحج:٣٤]**.

وقد قرن الله تعالى الصلاة بالنسك لأن أعظم الأموال عند كثير من الناس بهيمة الأنعام فشرع تقديمها له تعالى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فلخصوصية الذبح بذاته وإنهار الدم قرباناً لله تعالى؛ ولذا فإن أكثر الأمم حتى أهل الأوثان على تعظيم هاتين الشعيرتين؛ الصلاة والذبح لمن يعبدون، وربما

---

[٣١٤] تفسير القرطبي (٧/ ١٥٢).

كان هذا من بقايا الرسل وآثار الأنبياء الدارسة بدليل، قوله تعالى:{ولكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه..} ولذا قرن الله تعالى بينهما في سورة الكوثر.

هذا وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو التوحيد، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: **{فَلَهُ أَسْلِمُوا}[الحج:٣٤]** أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام.[٣١٥].

**أنواع الذبائح التي تذبح تعظيماً وتعبداً لله تعالى.**

والذبائح التي يتقرب بها إلى الله عز وجل لكونها عبادة من العبادات هي ثلاثة أنواع:

**أولها: الهدي.**

وهو واجب على الحاج، إذا اعتمر قبل الحج، لقوله تعالى **{فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}[البقرة:١٩٦]** وكذلك إذا أدخل العمرة في الحج، وكان قارنًا لهما.

ويلحَق بهدي التمتع والقرآن هَدْي التطوُّع، وهَدْي الجُبران، وقد وُقّت لذبح الهدي الواجب من الحاج ميقاتان:

١) ميقات زماني، وذلك بعد الوقوف بعرفة.

٢) ميقات مكاني، وذلك في منى أو في مكة. لقوله صلى الله عليه وسلم:

---

[٣١٥] تفسير السعدي (ص: ٥٣٨).

((نحرت ها هنا – أي في منى – ومنى كلها منحر، وفجاج مكة كلها منحر..))[٣١٦].

ومن لم يستطع أن يذبح هديًا، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى وطنه. لقوله تعالى **{فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ}[البقرة:١٩٦]**

ولا تجزئ الذبيحة من الغنم إلا عن حاج واحد، أما البقر والإبل فتجزئ عن سبعة أشخاص، والهدي: يؤكل كله أو بعضه، ويحسن أن يجمع بين الأكل والصدقة.

**الثاني: الأضحية**

وهذه العبادة، مشاركة للحجاج في ذبح هداياهم اقتداء بإبراهيم عليه السلام، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

تشارك الهدي في زمنه وصفاته دون مكانه.

وحكمها سنة مؤكدة على أرجح الأقوال للمستطيع، وتصح من الغنم شاة إذا بلغت ستة أشهر، ومن المعز إذا بلغت سنة، ومن الإبل إذا بلغت خمس سنوات، ومن البقر إذا بلغ عامين أيضًا، وقد أهدى صلى الله عليه وسلم من الإبل، وضحى بالبقر والغنم. ويجزئ في البقر والإبل، أن يشترك سبعة أشخاص في الأضحية شأنها في ذلك شأن الهدي في الحج.

---

[٣١٦] صحيح مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٩٣)، مسند أحمد ١٤٤٩٨ (٢٢/ ٣٨١).

وله أن يأكل ما يشاء منها، ويتصدق بما يشاء، ولكن الأفضل أن يقسمها ثلاثًا: ثلث للأكل، وثلث للإهداء، وثلث للصدقة. ويجب أن تكون سليمة من العيوب كالهدي، وفي حديث أنس رضي الله عنه: ((ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر))[٣١٧].

ووقته بعد صلاة العيد، فمن فعل ذلك قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من العبادة في شيء، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تمّ نسكه، وأصاب سنة المسلمين**)) [٣١٨].

وعند أحمد وابن ماجة بسند ضعيف؛ عن زيد بن أرقم قال: قلت يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: ((سنة أبيكم إبراهيم)) قالوا: ما لنا منها؟ قال: ((بكل قطرة دم حسنة)) قالوا فالصوف؟ قال: ((بكل شعرة من الصوف حسنة))[٣١٩].

وتجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته جميعًا مثل امرأته وأولاده. والسنة ذبح البقر والغنم على الجانب الأيسر موجهة إلى القبلة. وأما الإبل فتنحر وهي معقولة اليد اليسرى.

وإذا دخل شهر ذي الحجة، يتعيّن على من يضحّي عدم أخذ شيء من

---

[٣١٧] صحيح البخاري ٥٥٦٥(٧/ ١٠٢)، صحيح مسلم ١٩٦٦(٣/ ١٥٥٦).

[٣١٨] صحيح البخاري ٥٥٤٦(٧/ ٩٩).

[٣١٩] مسند أحمد ١٩٢٨٣(٣٢/ ٣٤) سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٤٥).

شعره أو ظفره حتى الذبح. لحديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا: ((إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يأخذ من شعره، ولا من أظفاره شيئًا حتى يضحي، وذلك تشبهًا بالمحرم في الحج))[٣٢٠].

**الثالث: العقيقة**

وهذه تلحق بالذبح تقرباً لله تعالى ولا تتعلق بزمان ولا مكان الهدي والأضاحي.

وأصل كلمة العقيقة: شعر كل مولود من الناس، والبهائم التي تولد. وبه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم سابعه عقيقة، لأنه يزال عنه الشعر الذي ولد به يومئذ، فسميت باسم سببها.

وقيل إنه مأخوذ من العق، وهو الشق والقطع. فسميت الذبيحة عقيقة لأنه يشق حلقومها.

وهي سنة مؤكدة عند الجمهور، لأمره صلى الله عليه وسلم وفعله، وفعل أصحابه والتابعين. وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد.

فعن سلمان بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى)) [٣٢١].

وعن سمرة بن جندب –رضي الله عنه– عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم قال: ((كلُّ غلامٍ مرتهن بعقيقته، تُذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه

---

[٣٢٠] صحيح مسلم ١٩٧٧(٣/ ١٥٦٦).

[٣٢١] صحيح البخاري ٥٤٧١(٧/ ٨٥).

ويسمَّى))[٣٢٢].

ولما ورد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة؟ فقال: ((لا أحب العقوق)) وكأنه كره الاسم. فقالوا يا رسول الله إنما نسألك عن أحدنا يولد له. قال: ((من أحب منكم أن ينسك (يذبح) عن ولده فليفعل عن الغلام شاتان مكافأتان، وعن الجارية شاة)) [٣٢٣].

فقوله صلى الله عليه وسلم ( من أحب..) دليل على عدم الوجوب، لكن ينبغي على القادر ألّا يتركها لأنها شعيرة وعبادة من العبادات.

وقيل: إن العقيقة واجبة؛ شرعت فدية يُفدَى بها المولود كما فدى الله إسماعيل الذبيح بالكبش، وكانت تُفعل في الجاهلية، فأقرها الإسلام وأكدها، وأخبر الشارع أن الغلام مرتهن بها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "العقيقة فيها معنى القربان والشكر والصدقة والفداء، وإطعام الطعام عند السرور" وقال: ابن القيم: "وهذا شأنها، سنة ونسيكة مشروعة بسبب تجدد نعمة الله على الوالدين، وفيها سر بديع موروث عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذبح عنه وفداه الله به، ولا يستنكر أن يكون هذا حرزًا له من الشيطان بعد ولادته. كما كان اسم الله عند وضعه في الرحم

---

[٣٢٢] مسند أحمد ٢٠١٨٨(٣٣/ ٣٥٦)، سنن ابن ماجه ٣١٦٥(٢/ ١٠٥٦) وصححه الألباني.
[٣٢٣] مسند أحمد ٢٧٣٧١ (٤٥/ ٣٧٠)، سنن أبي داود ٢٨٣٤(٣/ ١٠٥).

حرزًا من ضرر الشيطان[٣٢٤].

وفي العقيقة مزايا كثيرة؛ منها:

-إظهار السرور بالنعمة.

- ومنها إشهار نسب المولود.

- ومنها الدخول في صفة الكرم، وعصيان دواعي البخل والشح.

فإن فات الذبح في اليوم السابع: ففي أربعة عشر. فإن فات، ففي إحدى وعشرين لحديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العقيقة: (( تذبح لسبع، ولأربع عشرة، ولإحدى وعشرين)) [٣٢٥] ومن الدماء المشروعة الوفاء بالنذر على كراهة ابتدائه.

**تاسعاً: المواقيت المكانية لمريد الحج والعمرة.**

حيث جعل الله تعالى للكعبة حصناً وحمى؛ فالحصن هو مكة والحمى هو الحرم، وللحرم حمى، وهي: المواقيت التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي لا يجوز لمريد الحج والعمرة تجاوزها إلا بإحرام؛ تعظيما لله تعالى، ولبيته العتيق، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وقّت رسول الله صلى

---

[٣٢٤] تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٧٠).

[٣٢٥] الجامع الصغير وزيادته (ص: ٧٥٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٥٩).

الله عليه وسلم لأهل المدينة، ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة[٣٢٦] ولأهل نجد، قرن المنازل، ولأهل اليمن، يلملم[٣٢٧]، قال: «فهن لهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، ممن أراد الحج والعمرة)[٣٢٨].

ووقّت النبي صلى الله عليه وسلم "لأهل العراق ذات عرق"[٣٢٩]. وقيل: إن عمر رضي الله تعالى عنه هو الذي وقته[٣٣٠] ولعل اجتهاد عمر وافق سنّة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأفضل هذه المواقيت ميقات أهل المدينة ذو الحليفة وهو أبعدها عن الحرم؛ وتفضيله بدليل أن عمر رضي الله تعالى عنه قال حدثني النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أتاني الليلة آت من ربي –وهو بالعقيق –أن صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة أو عمرة وحجة))[٣٣١].

ووادي العقيق هو الوادي المبارك كما وصفه النبي عليه وسلم الذي ينبع من منطقة العقيق التي تبعد عن المدينة أكثر من ١٠٠ كيلا جنوبا ويمر بذي

---

[٣٢٦] وقّت النبي لأهل الشام الجحفة في جميع الأحاديث الصحيحة ولم يكن فتح حينئذ، وهذا من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والإخبار بالمغيبات المستقبلات. المنهاج(٤/٢٣٧).

[٣٢٧] قال الحافظ ابن حجر: "ويقال لها: ألملم بالهمزة، وهو الأصل، والياء تسهيل لها". فتح الباري لابن حجر(٣/ ٣٨٦).

[٣٢٨] صحيح البخاري ١٥٢٤(٢/ ١٣٤)، صحيح مسلم ١١٨١(٢/ ٨٣٨).

[٣٢٩] صحيح مسلم١١٨٣ (٢/ ٨٤١).

[٣٣٠] صحيح البخاري ١٥٣١(٢/ ١٣٥).

[٣٣١] صحيح البخاري ١٥٣٤ (٢/ ١٣٦).

الحليفة ميقات المدينة، ووصف بأنه مبارك لأنه يمر بميقات من مواقيت العبادة وهو ذو الحليفة وهو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه، وهو جزء من وادي العقيق فأطلق الكل والمراد الجزء، أو أن المراد الوادي كله فهو مبارك في نفسه لما جعل الله فيه من بركة في مائه وحصبائه وزروعه، والله أعلم.

والواجب على من مرّ بهذه المواقيت أو حاذاها من البر أو الجو وهو يريد الحج أو العمرة أن يحرم منها، ويحرم عليه أن يتجاوزها من غير إحرام، ومن تجاوزها فعليه العودة إليها والإحرام منها، أو يحرم من مكانه وعليه فدية، أما من مرّ بالمواقيت لا يريد الحج والعمرة فلا يلزمه الإحرام أخذا بمفهوم الحديث (ممن أراد الحج..) وخاصة أهل مكة ومن يكثر الترداد عليها لمصالحه أما الآفاقي قليل الترداد فالأفضل ألّا يدخلها إلا محرما، وهذا من تعظيم شعائر الله عز وجل.

وأبعد هذه المواقيت هو ذو الحليفة ميقات أهل المدينة، قيل إن الحكمة في ذلك: لتعظيم أجور أهل المدينة، وقيل: رفقا بأهل الآفاق؛ لأن المدينة أقرب الآفاق البعيدة إلى مكة؛ أي ممّن له ميقات معيّن.

هذه أبرز الشعائر المكانية المتعلقة بمكة المكرمة والحج.

**المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى من خلال تعظيم مشاعره تعالى المكانية في مكة المكرمة.**

**أولاً: تعظيم الله تعالى بالتوحيد.**

التوحيد أعظم ما عظّم الله تعالى به ولذلك قال الله تعالى: **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم}[آل عمران:١٨]**.

وتعظيم الحاج والمعتمر بالتوحيد من خلال إهلاله بالتوحيد منذ الدخول في النسك والإحرام من المواقيت.

وقد جعل الله التلبية بالتوحيد شعار الحج، فما عظم الله تعالى بمثل توحيده تعالى وتنزيهه، والبراءة من الشرك وأهله.

فالتوحيد هو أبرز القضايا الرئيسة التي عمل النبي على تحقيقها والعناية بها في الحج –كما هو شأنه في سائر شؤونه– امتثالا لأمر الله حيث قال: **{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}** [البقرة:١٩٦] وهذا يتضمن الأمر بإخلاص النسك وإتقانه(٣٣٢).

**أهمية الإهلال بالتوحيد ودلائله:**

تظهر أهميّة الإهلال بالتوحيد عند النبي صلى الله عليه وسلم فيما يلي:

---

(٣٣٢) تفسير السعدي– (ص: ٩٠).

١- ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بها في أول أعمال نسكه، فأول شعيرة في الحج هي الإهلال بالتلبية بعد لبس الإحرام إيذانا بدخوله في عبادة الحج، والاستمرار على ذلك حتى رمي جمرة العقبة، ثم التحول من هذه الصورة لإعلان التوحيد بصورة أخرى وهي التكبير والتهليل والتحميد، وهي تحمل معاني التلبية ولكنها بألفاظ وعبارات مختلفة.

بل يسبق التلبية وبعد الاستواء على الراحلة وقبل الإهلال، فإنه يسن للحاج التحميد والتسبيح والتكبير، وكلها من التوحيد قال أنس في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم: ثم ركب حتى استوت به على البيداء؛ فحمِد الله وسبّح وكبّر ثم أهل بحج وعمرة (٣٣٣).

قال ابن تيمية: " في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير بنية ولا غيرها، ولا عَلَّم أحداً من المسلمين، ولو كان ذلك مستحباً لفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولعظّمه المسلمون، وكذلك في الحج إنما كان يستفتح الإحرام بالتلبية، وشرع للمسلمين أن يلبوا في أول الحج، ولم يشرع لأحد أن يقول قبل التلبية شيئا، لا يقول: اللهم إني أريد

---

(٣٣٣) صحيح البخاري ١٥٠١ (٢/ ١٣٠) وبوّب له البخاري باب: التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال. قال الحافظ: "استحباب التسبيح والتحميد والتكبير قبل الإهلال قلّ من تعرّض لذكره مع ثبوته". فتح الباري(٤/٤٣٩).

العمرة والحج، ولا الحج والعمرة، ولا يقول: فيسره لي.. "[٣٣٤].

والبدء بالتوحيد ظاهر في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في عباداته كلها، وفي دعوته، وفي شأنه كله.

فكان أول دعوته إلى التوحيد كما في حديث معاذ لما بعثه إلى اليمن فقال له: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل)).[٣٣٥]وفي رواية: ((إلى أن يوحدوا الله))[٣٣٦] وفي رواية أخرى ((إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ..))[٣٣٧] وكل هذه الروايات في الصحيح، وهي بمعنى واحد.

وكما في حديث وفد عبد القيس: ((آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده))؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((أن تشهدوا ان لا إله إلا الله وأني رسول الله))[٣٣٨].

وكما في حديث أبي سفيان لهرقل: " يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وينهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا ..."[٣٣٩].

---

[٣٣٤] مجموع الفتاوى(٢٢/٢٢٢).

[٣٣٥] أخرجه البخاري . باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة. ١٤٥٨ (٢/ ١٤٧)ومسلم . الإيمان–باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام. ١٣٢ (١/ ٣٨)

[٣٣٦] رواه البخاري .كتاب التوحيد٧٣٧٢ (٩/ ١٤٠).

[٣٣٧] رواه البخاري . ١٤٩٦ (٢/ ١٥٨).

[٣٣٨] تقدم تخريجه.

[٣٣٩] رواه البخاري .كتاب الجهاد والسير.باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة٢٩٤١(٤/ ٥٦).

وكان آخر وصيته عند مفارقة هذه الحياة الدنيا التحذير مما يخدش التوحيد ويقدح فيه، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: (( لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا))[٣٤٠].

وكذلك سنته العملية فكانت حياته كلها في تقرير التوحيد والإيمان، يربي على ذلك أصحابه ويصحح عقائد الناس، قال جندب بن عبدالله البجلي : "تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً".[٣٤١]

فلا غرْوَ إذنْ أن يستفتح النبي صلى الله عليه وسلم أعمال الحج بالتوحيد ويستمر ذلك حتى نهاية نسكه.

والتلبية: مشتملة على معاني التوحيد وأنواعه، ولذلك قال جابر رضي الله تعالى عنه ((فأهل بالتوحيد))[٣٤٢].

والتلبية مشتملة على معاني التوحيد وأنواعه؛ ففي قوله:(لبيك اللهم لبيك)

---

[٣٤٠] صحيح البخاري .كتاب الصلاة. ٤٣٥ و٤٣٦- (١/ ١١٨) صحيح مسلم . المساجد- باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد. ١٢١٥(٢/ ٦٧).

[٣٤١] رواه ابن ماجة . أَبْوَابُ السُّنَّةِ-بابٌ فِي الإِيمَانِ ٦١ (١/ ٤٢) وصححه الألباني.

[٣٤٢] صحيح مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٨٧).

معاني التوحيد الطلبي فهي تتضمّن الاستجابة والانقياد وذلك بنفي ما يضاده وهو عموم نفي الشريك عن الله تعالى، إضافة إلى ما في معاني( لبيك) من معاني التوحيد الطلبي وهي:

- تتضمن الاستجابة والانقياد لله تعالى.

-كما تتضمن: التقرب إلى الله تعالى والإخلاص في ذلك لأن لُبّ الشيء خالصه.

-كما تتضمن دوام العبودية لله تعالى بالاستمرار والإقامة والملازمة للعبودية.

- وفيها أيضاً دلالة واضحة وصريحة على كمال الحب والذل لله تعالى مع كمال الحب والخضوع له سبحانه-كما سبق- وهما ركنا العبودية الحقّة لله عز وجل. ولذا لا يقال (لبيك) إلا لمن تحبه وتعظمه.

وفي قوله:(اللهم) إثبات للتوحيد العِلمي، ومنه توحيد الأسماء والصفات.

فالسائل إذا دعا بـ: "اللهم" فكأنه قال: " أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى بأسمائه وصفاته" فيكون سأل بجميع أسمائه تعالى.[٣٤٣] ولذلك قال الحسن البصري:"اللهم" مجمع الدعاء".[٣٤٤]

وقال النضر بن شميل:"من قال: "اللهم" فقد دعا الله بجميع أسمائه"[٣٤٥]

---

[٣٤٣] جلاء الأفهام. لابن القيم(ص١٥٠-١٥٢) وينظر: مظاهر الإيمان.للفوزان(ص١٥٣-١٥٤).

[٣٤٤] المحرر الوجيز(٤١٧/١).

[٣٤٥] مرقاة المفاتيح(٦/٣) نقلا عن مظاهر الإيمان(ص١٥٤).

وقال أبو رجاء العطاردي:"إن الميم في قوله: "اللهم" فيها تسعة وتسعون اسما من أسمائه تعالى"[٣٤٦] وهذه الدعوة يعوزها الدليل، والعلم عند الله.

وفي قوله:(لبيك لا شريك لك) تأكيد للتوحيد الطلبي بنفي الشريك عن الله تعالى، وجاءت نكرة في سياق النفي لتعمّ فتشمل نفي الشريك عن الله تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته تعالى، ثم كررها بعد الثناء على الله تعالى، بقوله: إن الحمد والنعمة لك والملك، وذلك يتضمن أنه لا شريك له في الحمد والنعمة والملك، والأول يتضمن أنه لا شريك له في إجابة هذه الدعوة)[٣٤٧] وأكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله:( اللهم حجة لا رياء فيه ولا سمعة)[٣٤٨].

وفي قوله:(إن الحمد والنعمة لك والملك) إثبات وتأكيد للتوحيد العلمي أيضا، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات

وأكد تفرد الله تعالى بذلك بقوله عقيبه(لا شريك لك).

كما أن التلبية مشتملة على الحمد الذي هو أحب ما يتقرب به العبد إلى الله وأول من يُدْعى إلى الجنة أهله، وهو أول فاتحة الصلاة وخاتمتها.

ومشتملة على الاعتراف لله بالنعمة كلها، وعلى الاعتراف بأن الملك كله لله

---

[٣٤٦] المحرر الوجيز(١/٤١٧)

[٣٤٧] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود(٥/ ١٨١-١٨٢).

[٣٤٨] أخرجه ابن ماجه:ح٢٨٩٠وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة، ح٢٦١٧.

تعالى وحده، فلا ملك على الحقيقة لغيره[٣٤٩].

ومن صيغ التلبية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ورد في المسند "إله الحق" أي: الإله الحق، ففي في المسند عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((لبيك إله الحق))[٣٥٠].

قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: و"إله الحق" أي: الإله الحق، من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: لبيك أنت الإله الحق"[٣٥١].

وقد ورد عن بعض الصحابة الزيادة على هذه الصيغة.

قال نافع: " وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَزِيدُ فِيهَا: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ "[٣٥٢].

وروى ابن أبي شيبة عن المسور بن مخرمة قال: "كانت تلبية عمر: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، لبيك مرغوبا أو مرهوبا، لبيك ذا النعماء والفضل الحسن "[٣٥٣].

---

[٣٤٩] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود(٥/ ١٧٩-١٨٠).

[٣٥٠] رواه أحمد في المسند ٨٤٩٧(١٤/ ١٩٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٤٦)، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه يقول في افتتاحه صلاة الليل وقيامه:((.. لبيك وسعديك والخير كله فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ )) رواه مسلم ٧٧١(١/ ٥٣٥).

[٣٥١] مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٤/ ٤٥٦).

[٣٥٢] رواه مسلم ١١٨٤(٢/ ٨٤١).

[٣٥٣] المصنف(٤/٢٨٣).

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقر الصحابة رضي الله عنهم على تلك الزيادات ولم ينكرها عليهم مما يدل على جوازها.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ عن النبي صلى الله عليه وسلم: (فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَتَهُ)[٣٥٤].

فمن مجموع هذه الأحاديث يؤخذ أن الأفضل للحاج والمعتمر أن يلزم تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن زاد عليها بعض الألفاظ كالتي وردت عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو غيرها فهو جائز.

قال الإمام الشافعي رحمه الله – بعد أن أورد صيغة تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم:"وهي التي أحب أن تكون تلبية المحرم، لا يقصر عنها، ولا يجاوزها، إلا أن يدخل ما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم – وهي ( لبيك إله الحق ) – فإنه مثلها في المعنى، لأنها تلبية، والتلبية إجابة، فأبان أنه أجاب إله الحق بلبيك أولا وآخرا.

ولا يُضَيَّق على أحد في مثل ما قال ابن عمر ولا غيره من تعظيم الله تعالى، ودعائه، مع التلبية، غير أن الاختيار عندي أن يفرد ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من التلبية ولا يصل بها شيئا، إلا ما ذكر عن النبي صلى

---

[٣٥٤] رواه مسلم ١٢١٨(٢/ ٨٨٦).

الله عليه وسلم، ويعظم الله تعالى ويدعوه بعد قطع التلبية "[٣٥٥].

وعن التلبية النبوية قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " فهذا توحيد الرسول صلى الله عليه وسلم المتضمن لإثبات صفات الكمال التي يستحق عليها الحمد، ولإثبات الأفعال التي استحق بها أن يكون منعما، ولإثبات القدرة والمشيئة والإرادة والتصرف والغنى والجود الذي هو حقيقة ملكه"[٣٥٦].

وهذا الهدي النبوي في الإهلال بالتوحيد يعطي دلالة واضحة على وجوب العناية بالتوحيد والبدء بتحقيقه وتقديمه على كل الواجبات، ومراعاة سلامته من القوادح والنواقض التي تخدش صفاءه ونقاءه، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من دعائه:((اللهم أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلم))[٣٥٧].

كما يجب على مريد الحج أن يحقق أسباب قبول الحج، وأولها تحقيق التوحيد، والتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك، كبيره وصغيره، جليّه وخفيه، وأن يكون صادقا في تلبيته وإجابته حينما يقول: لبيك اللهم لبيك.. لأن التلبس بشيء من أدران الشرك من أكبر أسباب عدم القبول وحبوط العمل، قال تعالى: **{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}**[الفرقان:٢٣].

---

[٣٥٥] انتهى باختصار من " الأم " (٢/١٦٩-١٧٠).

[٣٥٦] الصواعق المرسلة٠٣/٩٢٧-٩٣٣).

[٣٥٧] أخرجه البخاري في الأدب المفرد ح:٧١٦وصححه الألباني في تعليقه.

وكان بعض السلف يتخوفون كثيرا عند التلبية مخافة أن ترد عليهم، كما روى مالك أنه حج مع جعفر بن محمد فلما أراد أن يهلّ كاد أن يُغشى عليه، فقلت له: لا بدّ لك من ذلك، قال : وكان يكرمني وينبسط إلي فقال:"يا ابن أبي عامر: إني أخشى أن أقول: لبيك اللهم لبيك فيقول : لا لبيك ولا سعديك". قال مالك: ولقد أحرم جده علي بن حسين فلما أراد أن يقول: لبيك اللهم لبيك أو قالها؛ غُشي عليه وسقط من ناقته فهشم وجهه رضي الله تعالى عنهم أجمعين[٣٥٨].

٢- الاكثار منها وإعلان ذلك على الملأ وإبرازه وإظهاره ليقتدي به الناس.

وهذا مما يدل على أهمية الإهلال بالتوحيد حيث حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إعلان ذلك على الملأ وإظهاره كما جاء في حديث جابر حينما أهلّ صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وهو راكب القصواء والحجاج محيطون به صلى الله عليه وسلم من جميع الجهات مد البصر، يرددون ما يقول ويعملون بما يعمل.

وقد أخرج الشافعي عن محمد بن المنكدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من التلبية[٣٥٩].

وكذلك الصحابة فهذا ابن عمر كان يلبي راكباً ونازلا ومضطجعا.[٣٦٠] وعن

---

[٣٥٨] التمهيد(٦٧/٢) وانظر: بعض أخبار العباد عند التلبية، سير أعلام النبلاء(١٨٥/١٠).

[٣٥٩] مسند الشافعي(١٢٢/١) الأم(١٧٥/٢).

[٣٦٠] أخرجه أحمد في المسند(١٩٢/٥) والحاكم في المستدرك(٦١٩/١)وصححه.

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سابط قال: "كان سلفنا لا يدعون التلبية عند أربع: عند انضمام الرفاق حتى تنضم، وعند إشرافهم على الشيء وهبوطهم في بطون الأودية أو عند هبوطهم من الشيء الذي يشرفون منه، وعند الصلاة إذا فرغوا منها" قال الشافعي: " وما روى ابن سابط عن السلف هو موافق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن جبريل أمره أن يأمرهم برفع الصوت بالتلبية".

وفي هذا من الدلالة على وجوب إظهار التوحيد وإعلانه ورفعة مناره وإعلان البراءة من الشرك وأهله؛ لأن المشركين كانوا يلبّون لكنهم يشركون في تلبيتهم أيضا، فقد كانت تلبيتهم :(( لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك))[٣٦١]، ولذا فإن كلمات التلبية:"متضمنة للرد على المشركين والفلاسفة والجهمية والقدرية، فمن علم معاني هذه الكلمات وأيقن بها باين جميع الطوائف المبطلة"[٣٦٢].

وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في الحج ظاهر فيه إعلان مخالفة المشركين والحرص على ذلك ابتداء بالتلبية ثم ببقية الشعائر من الوقوف بعرفة والانصراف بعد الغروب، والرحيل من مزدلفة قبل شروق الشمس .. إلى غير ذلك من المواقف.

---

[٣٦١] أخرجه مسلم ١١٨٥(٢/ ٨٤٣).

[٣٦٢] تهذيب سنن أبي داود (١/ ٣٤١).

٣- - جعلها شعار الحج.

كما في حديث زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أَتَانِي جِبْرِيلُ -صلى الله عليه وسلم- فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالإِهْلاَلِ - أَوْ قَالَ - بِالتَّلْبِيَةِ)).[٣٦٣] زاد في رواية أحمد وابن ماجه ((فإنها من شعار الحج))[٣٦٤].

وفي مشكل الآثار مرفوعاً: ((إن من شعار الحج رفع الصوت بالتلبية))[٣٦٥].

وسماها ابن عباس رضي الله عنه:(شعار الحج) و(زينة الحج)[٣٦٦].

فلما كانت التلبية شعار الحج أمر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم إظهار هذا الشعار لأهميته وذلك برفع أصواتهم به لإعلان التوحيد صراحة والبراءة من الشرك وأهله.

كما جعلها شعار الانتقال من حال إلى حال ومن منسك إلى منسك، كما جعل التكبير سببا للانتقال من ركن إلى ركن، ولهذا كانت السنة أن يلبي حتى يشرع في طواف القدوم، ثم إذا سار لبّى حتى يقف بعرفة فيقطعها، ثم يلبي حتى يقف بمزدلفة فيقطعها، ثم يلبي حتى يرمي جمرة العقبة فيقطعها..[٣٦٧].

---

(٣٦٣) رواه أبو داود . باب كيفية التلبية١٨١٦(٢/ ٩٩)والنسائي – باب رفع الصوت بالإهلال ٢٧٥٣(٥/ ١٦٢) وصححه الألباني.

(٣٦٤) مسند أحمد ٨٣١٤(١٤/ ٦٥)؛ سنن ابن ماجه ٢٩٢٣(٢/ ٩٧٥).

(٣٦٥) شرح مشكل الآثار ٥٧٨٦(١٤/ ٤٩٦).

(٣٦٦) الإشراف لابن المنذر(١٩٥/٣).

(٣٦٧) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود(٥/ ١٧٨).

وقد علل ابن عبد البر قطع التلبية برمي الجمرة بقوله: " لأن المحرم لا يحل من شيء من إحرامه ولا يلقي عنه شيئا من شعثه حتى يرمي جمرة العقبة، فإذا رماها فقد حلت له أشياء كانت محظورة عليه، وذلك أول إحلاله، فينبغي أن تكون تلبيته بالحج على حسب ما كانت عليه من حين أحرم إلى ذلك.."[٣٦٨].

٤- الأمر برفع الصوت بها.

كما في حديث زيد المتقدم وكما في حديث السائب بن خلاد الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أو من معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإهلال يريد أحدهما))[٣٦٩].

وهذا هدي الأنبياء عليهم السلام من قبل: فموسى عليه السلام يصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:((كأني أنظر إليه هابطا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية))[٣٧٠].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الحج أفضل؟ قال:((العَجُّ والثَّجُّ))[٣٧١].

والعج: رفعُ الصَّوت بالتّلْبِيةِ وقد عَجَّ يَعِجُّ عجًّا فهو عَاجٌّ وعَجَّاجٌ، والثّج:

---

[٣٦٨] التمهيد(١٣/٨٣-٨٤).

[٣٦٩] تقدم تخريجه.

[٣٧٠] أخرجه مسلم . الإيمان- باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات. ٤٣٨(١/ ١٠٥).

[٣٧١] رواه الترمذي—باب فضل التلبية والنحر ٨٢٧(٣/ ١٨٩)وابن ماجة . ٢٩٢٤(٤/ ١٦٠) وصححه الألباني.

سَيلان دماء الهدْي والأضاحي يقال ثَجَّه يثُجُّه ثَجًّا[٣٧٢].

وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم هدي النبي صلى الله عليه وسلم(فكانوا لا يبلغون الروحاء حتى تبحّ أصواتهم من شدة تلبيتهم)[٣٧٣].

وعن المطلب بن عبد الله قال: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح أصواتهم"[٣٧٤].

وفي رفع الحاج صوته بالتلبية دلالة ظاهرة على إعلان التوحيد لله تعالى والبراءة من الشرك، ولما فيه من تذكير غيره من الحاج بالتلبية، ولما فيه من متابعة الجمادات له بالتلبية وإعلان التوحيد كما في حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(( ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه أو عن شماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وها هنا))[٣٧٥].

كما أشار ابن المنيّر إلى معنى لطيف في مشروعية التلبية، فقال: " وفي مشروعية التلبية تنبيه على إكرام الله تعالى لعباده بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منه سبحانه وتعالى"[٣٧٦].

٥- كونها من سنن الأنبياء والمرسلين السابقين عليهم السلام.

---

[٣٧٢] النهاية في غريب الأثر(١/٤٠٤، ٥٨٥)

[٣٧٣] المصنف لابن أبي شيبة ١٥٠٥١(٣/ ٣٧٢).

[٣٧٤] المصدر نفسه ح:١٥٠٥٧ وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح البارئ(٣/٤٠٨).

[٣٧٥] أخرجه الترمذي – فضل التلبية والنحر ٨٢٨(٣/ ١٨٩)وصححه الألباني.

[٣٧٦] فتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٠٩).

ومن دلائل أهميتها وتعظيمها لما فيها من إعلان التوحيد وتحقيقه أن الأنبياء كانوا يلبون بها ويهلّون بالتوحيد في حجهم إلى بيت الله العتيق.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ((لما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال : يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال: وادي عسفان، قال صلى الله عليه وسلم: ((لقد مرَّ به هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف أزرهم العباء وأرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق))[٣٧٧].

ولما مر بوادي الأزرق قال صلى الله عليه وسلم : ((كأني أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية، ثم لما مر على ثنية هرشى[٣٧٨] قال صلى الله عليه وسلم: كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خُلْبة وهو يلبى))[٣٧٩].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والذى نفسى بيده ليهلّنّ ابن مريم بفجّ الروحاء حاجا

---

[٣٧٧] رواه أحمد في المسند ٢٠٦٧ (١/ ٢٣٢) وحسنه ابن كثير من البداية والنهاية(١/١٣٠).

[٣٧٨] "ثنية هرشى" ثنية بين مكة والمدينة, وقيل: هرشى: جبل قرب الجحفة, ولدى ياقوت: "هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة, ترى البحر".أخبار مكة للأزرقي – (١/ ٤٨).

[٣٧٩] تقدم تخريجه .

أو معتمرا أو ليثنينهما))[٣٨٠].

وفي هذا من الدلالة على أهمية التلبية وما فيها من التوحيد وتعظيم الأنبياء لها؛ لأنها إعلان وتحقيق التوحيد المشترك بينهم عليهم السلام، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}**[الأنبياء:٢٥].

**ثانيا: تعظيم الله تعالى بالبراءة من من الشرك وأهله وشعائره وشرائعه**

وذلك بتحقيق الشطر الثاني من كلمة التوحيد، وهي البراءة من الشرك وأهله لأنها نفي وإثبات، ولا إثبات للتوحيد إلا بعد نفي الشرك والبراءة منه ومن أهله قال تعالى: **{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ }**[البقرة:٢٥٦]. وقال عز وجل عن إبراهيم خليل الرحمن: **{ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُون*إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين}**[الزُّخرُف:٢٦-٢٧].

وتظهر البراء من الشرك وأهله من خلال:

-الابتداء بإعلان المخالفة في إهلالهم الشركي، حيث يضيفون إليها (لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) فأبدلها النبي صلى الله عليه وسلم: ((لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك))[٣٨١].

---

[٣٨٠] أخرجه مسلم. الحج- باب إهلال النبي -صلى الله عليه وسلم- وهديه. ٣٠٨٩ (٤/ ٦٠).

[٣٨١] صحيح مسلم ١١٨٥(٢/ ٨٤٣).

- وكذلك تنقية المشاعر من الشرك وأهله بإعلان{ **إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا**}**[التوبة:٢٨]** و((ألّا يطوف بالبيت عريان))[٣٨٢] وتنقية الكعبة من الأصنام.

وكان قد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بإزالة الأصنام وإخراجها من البيت يوم الفتح إعلانا للتوحيد، فلما وجدها منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم بسية قوسه ويقول: **{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}**[الإسراء:٨١][٣٨٣].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لما قدم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت "[٣٨٤].

ولذا فإن من المتقرر عند أهل العلم أن من تعظيم شعائر الله مخالفة المشركين والمغضوب عليهم والضالين في شعائرهم التعبدية، وهذا واضح جلي في شعيرة الحج وفي عاشورا وغيرها.

**ثالثاً: تعظيم الله تعالى بوجوب إخلاص الحج والعمرة له تعالى.**

قال تعالى:{ **وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن**

---

[٣٨٢] صحيح البخاري ٣٦٩(١/ ٨٣)؛صحيح مسلم ١٣٤٧(٢/ ٩٨٢).

[٣٨٣] صحيح مسلم١٧٨٠(٣/ ١٤٠٦).

[٣٨٤]صحيح البخاري ١٦٠١(٢ / ١٥٠).

**كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين}[آل عمران:٩٧]** وقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة))[٣٨٥] لأن الشرك والرياء ينافيان التعظيم لله تعالى ولذا نزه سبحانه نفسه عن ذلك

فقال تعالى: **{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون}[يونس:١٨]** ومن تعظيمه تعالى وجوب إتمامهما على كل من شرع فيهما ولو تطوّعاً، قال تعالى: **{وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}**[البقرة:١٩٦].

ومن إتمامهما أن تكون على السنة ففي هذه الآية إشارة إلى شرطي العبادة؛ الإخلاص والمتابعة**{وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ}**. قال القرافي رحمه الله تعالى: "فلما كان أداء الحج والعمرة مَظِنَّةَ الرياء؛ قيل فيهما( لله)، اعتناءً بالإخلاص".[٣٨٦]

---

[٣٨٥] سنن ابن ماجه٢٨٩٠(٢/ ٩٦٥) وصححه الألباني.

[٣٨٦] الذخيرة(٣/ ١٧٣).

**رابعا: ومن تعظيم الله: تحريم الرفث والفسوق والجدال في أثناء أدائها، والتأدب بالآداب الشرعية وتعظيم حرمات الله وشعائره.**

قال تعالى: **{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَاب}**[البقرة:١٩٧].

قوله: ( فمن فرض فيهن الحج ) أي أحرم به.

قوله: ( فلا رفث ) الرفث هو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية.

قوله: ( ولا فسوق ) الفسوق هو جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام.

قوله: ( ولا جدال في الحج ) الجدال هو المماراة والمنازعة والمخاصمة لكونها تثير الشر وتوقع العداوة. وقيل في تخصيص هذه الثلاث دون غيرها أن من الثابت: "أنَّ الإنْسانَ فِيهِ قُوًى أرْبَعَةٌ: قُوَّةٌ شَهْوانِيَّةٌ بَهِيمِيَّةٌ، وقُوَّةٌ غَضَبِيَّةٌ سَبُعِيَّةٌ، وقُوَّةٌ وهْمِيَّةٌ شَيْطانِيَّةٌ، وقُوَّةٌ عَقْلِيَّةٌ مَلَكِيَّةٌ، ومن مقاصد العبادات تهذيب النفوس وقهر هذه القوى فَقَوْلُهُ: ﴿فَلا رَفَثَ﴾ إشارَةٌ إلى قَهْرِ القُوَّةِ الشَّهْوانِيَّةِ، وقَوْلُهُ: ﴿ولا فُسُوقَ﴾ إشارَةٌ إلى قَهْرِ القُوَّةِ الغَضَبِيَّةِ الَّتِي تُوجِبُ التَّمَرُّدَ والغَضَبَ، وقَوْلُهُ: ﴿ولا جِدالَ﴾ إشارَةٌ إلى القُوَّةِ الوَهْمِيَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ الإنْسانَ عَلى الجِدالِ في ذاتِ اللَّهِ، وصِفاتِهِ، وأفْعالِهِ، وأحْكامِهِ، وأسْمائِهِ، وهي الباعِثَةُ لِلْإنْسانِ عَلى مُنازَعَةِ النّاسِ ومُماراتِهِمْ، والمخاصِمَةِ مَعَهم في كُلِّ شَيْءٍ، فَلَمّا كانَ مَنشَأُ الشَّرِّ مَحْصُورًا في هَذِهِ الأُمُورِ الثَّلاثَةِ لا جَرَمَ قالَ: ﴿فَلا رَفَثَ ولا

فُسُوقَ ولا جِدالَ في الحَجِّ﴾" [٣٨٧] والعلم عند الله.

وقالَ بَعْضُهُمْ: "النُّكْتَةُ في مَنعِ هَذِهِ الأشْياءِ عَلى أنَّها آدابٌ لِسانِيَّةٌ: تَعْظِيمُ شَأْنِ الحَرَمِ، وتَغْلِيظُ أمْرِ الإثْمِ فِيهِ، إذِ الأعْمالُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الزَّمانِ والمِكانِ، فَلِلْمَلَأِ آدابٌ غَيْرُ آدابِ الخَلْوَةِ مَعَ الأهْلِ. ويُقالُ في مَجْلِسِ الإخْوانِ ما لا يُقالُ في مَجْلِسِ السُّلْطانِ. ويَجِبُ أنْ يَكُونَ المَرْءُ في أوْقاتِ العِبادَةِ والحُضُورِ مَعَ اللَّهِ تَعالى عَلى أكْمَلِ الآدابِ، وأفْضَلِ الأحْوالِ، وناهِيكَ بِالحُضُورِ في البَيْتِ الَّذِي نَسَبَهُ اللَّهُ سُبْحانَهُ إلَيْهِ..! وأمّا السِّرُّ فِيها عَلى أنَّها مُحَرَّماتُ الإحْرامِ، فَهو أنْ يَتَمَثَّلَ الحاجُّ أنَّهُ بِزِيارَتِهِ لِبَيْتِ اللَّهِ تَعالى مُقْبِلٌ عَلى اللَّهِ تَعالى، قاصِدٌ لَهُ، فَيَتَجَرَّدُ عَنْ عاداتِهِ ونَعِيمِهِ، ويَنْسَلِخُ مِن مَفاخِرِهِ ومُمَيِّزاتِهِ عَلى غَيْرِهِ، بِحَيْثُ يُساوِي الغَنِيُّ الفَقِيرَ، ويُماثِلُ الصُّعْلُوكُ الأمِيرَ، فَيَكُونُ النّاسُ مِن جَمِيعِ الطَّبَقاتِ في زِيٍّ كَزِيِّ الأمْواتِ، وفي ذَلِكَ – مِن تَصْفِيَةِ النَّفْسِ، وتَهْذِيبِها، وإشْعارِها بِحَقِيقَةِ العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، والأُخُوَّةِ لِلنّاسِ – ما لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، وإنْ كانَ لا يَخْفى أمْرُهُ..."."[٣٨٨] والله أعلم.

---

[٣٨٧] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير(٥/ ٣١٩).

[٣٨٨] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٢/ ٧١).

**خامسا: تعظيم الله تعالى بالتسليم لأمره والانقياد لشرعه وقصر الاتباع في العبادة على الوحي المعصوم من خلال التأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفعله وتقريره.**

وهذا القصر والحصر من مقاصد الإسلام العظيمة ومن تعظيم الله تعالى فلا يشرك معه في غيره في التلقي. فتوحيد المصدر وقصره على الوحي الإلهي من أهم مقاصد الإسلام العظيمة، قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا* وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[الأحزاب:١-٢]**.

وتحقيق هذا المقصد العظيم وما فيه من تعظيم لله تعالى كان ظاهراً جلياً في الحج وقصر التأسّي والأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأعماله وتقريراته في مناسك الحج وغيرها، ولذا أعلن النبي صلى الله عليه وسلم عزمه على الحج مبكراً، ولم يحج السنة التاسعة أول ما فرض عليه الحج فبث خبر حجه مبكراً ليعلم الناس بذلك ويتأهبوا لمرافقته فتوافدوا على المدينة من بداية ذي القعدة لمرافقته صلى الله عليه وسلم إلى الحج للتلقي عنه والتأسي به صلى الله عليه وسلم مباشرة.

وكانت هذه هي الحجة الوحيدة له عليه الصلاة والسلام فلما عزم على المسير خرج من المدينة وانتظر الناس إلى اليوم الثاني في ذي الحليفة حتى توافدوا واجتمعوا، وأخذ معه جميع زوجاته وضعفة أهله، وكان صلى الله عليه وسلم يستشرف لهم ويعلمهم ويجيب على استفساراتهم ويقول:(( خذوا عني

مناسككم))[٣٨٩] ويعلل ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله:(( لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا )) ولذا سميت حجة الوداع ولم يبق النبي صلى الله عليه وسلم بعدها إلا بضعا وثمانين ليلة.

وكان الناس ينظرون إليه ويقتدون به في أقواله وأعماله..وذلك نظير قوله صلى الله عليه وسلم:((صلوا كما رأيتموني أصلي))[٣٩٠]. ويظهر ذلك جلياً قي قول عمر رضي الله تعالى عنه عند تقبيله الحجر –كما تقدم – (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك).

وقوله رضي الله تعالى عنه: (فيم الرَّمَلان اليوم والكشف عن المناكب؟ وقد أطَّأ[٣٩١] الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية: (وأيم الله ما ندع شيئا كنا نفعله..)[٣٩٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى تعليقاً على قول عمر رضي الله تعالى عنه في الحجر:"هذا التسليم للشارع عن أمور الدين وحسن الاتباع فيما

---

[٣٨٩]السنن الكبرى للبيهقي – ٩٧٩٦ (٥ / ١٢٥) وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير – ١٣٨٤٠ (٢٨ / ٣٤٠).

[٣٩٠] صحيح البخاري ٦٣١(١/ ١٢٩).

[٣٩١] أطّأ بالتشديد أي أثبته وأرساه وأحكمه.

[٣٩٢] والحديث رواه ابو داود، وقال الألباني حسن صحيح ١٨٨٧ (٢/ ١٧٩) وأصله في البخاري بلفظ قريب ١٦٠٥ (٢/ ١٥١) والرواية الأخيرة عند ابن ماجة ١٥٦٣(٢/ ٩٨٤).

لم يكشف معانيها. وهي قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه"[٣٩٣].

والتربية على التسليم في أمور الحج ظاهرة في جميع مناسكه الزمانية والمكانية والهيئات.

قال ابن تيمية: "إن العبادة قد تُشرع أولاً لسبب ثم يزول ذلك ويجعلها الله سبحانه عبادة وقربة، كما قد رُوي في: الرمل والاضطباع، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار"[٣٩٤].

وقال بعض العلماء: إن الحكمة في بقاء مشروعيته بعد زوال العلة، تَذَكُّر ما أنعم الله تعالى به على المسلمين من العِزِّ والكثرة بعد القلة، والقوة بعد الضعف، فيكون ذلك باعثاً على الانقياد، ويحصل به تعظيم الأولين، لما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله تعالى، والمبادرة عليه، وبذل الأنفس فيه"[٣٩٥].

وهو صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة نبي الله إبراهيم عليه السلام والأنبياء من بعده، فأعاد الناس إلى ملة إبراهيم عليه السلام ونقى الحج مما غيّره الجاهلون والعابثون وكان يقول:((كونوا على إرث أبيكم إبراهيم)) [٣٩٦].

---

[٣٩٣] فتح الباري (٤/ ٥٢١).

[٣٩٤] شرح العمدة (٤٢٢/٣).

[٣٩٥] هداية السالك (٢/ ٨٠٣)، عون المعبود (٥/ ٢٩٣).

[٣٩٦] سنن أبي داود ١٩١٩(٢/ ١٨٩) وصححه الألباني.

**سادسا: تعظيم الله تعالى وشعائره بالاغتسال والوضوء والتنظف والتطيب عند أداء شعائره تعالى.**

كما في حديث عائشة رضي الله عنها: "كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم بأطيب الطيب " [٣٩٧].

وروى نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان إذا دنا من مكة بات بذي طوى بين الثنيتين حتى يصبح ثم يصلي الصبح ثم يدخل من الثنية التي بأعلى مكة ولا يدخل إذا خرج حاجا أو معتمرا حتى يغتسل قبل أن يدخل مكة إذا دنا من مكة بذي طوى ويأمر من معه فيغتسلون قبل أن يدخلوا"[٣٩٨]. ومن حديث زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه ((رأى النبي صلى الله عليه وسلم تجرد لإهلاله واغتسل))[٣٩٩] قال ابن المنذر: "الاغتسال عند دخول مكة مستحب عند جميع العلماء"[٤٠٠].

- وكذلك تطيبه صلى الله عليه وسلم لزيارة البيت يوم النحر كما في حديث عائشة، قالت: "طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم من منى قبل

---

[٣٩٧] صحيح مسلم ١١٨٩ (٢/ ٨٤٦).

[٣٩٨] الموطأ –باب غسل المحرم ٧٠٥ (١ / ٣٢٤).

[٣٩٩] رواه الترمذي ٨٣٠(٣/ ١٨٣)وابن خزيمة ٢٥٩٥ (٤/ ١٦١)بإسناد حسن.

[٤٠٠] الإشراف لابن المنذر(١٨٤/٣).

أن يزور البيت "[٤٠١]. يعني بعد إحلاله.

إلى غير ذلك من صور التعظيم التي يصعب حصرها، والتي تتجلّى ظاهرة في كل مراحل أداء النسك منه صلى الله عليه وسلم.

-وقال عروة بن الزبير: أخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها: (إن أول شي بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم أنه توضأ ثم طاف)[٤٠٢].

وتقدم الكلام على اشتراط الوضوء في الطواف.

أما السعي فقد تقدم حكاية المنذري الإجماع على عدم اشتراط الطهارة للسعي[٤٠٣].

**سابعاً: تعظيم الله تعالى بالحلق أو التقصير عند التحلل من الإحرام بالحج أو العمرة.**

ومن النسك والتعظيم لله تعالى في الحج والعمرة ومن واجباتهما؛ التحلل من الإحرام بحلق الشعر أو تقصيره وذلك من أعظم مظاهر التعظيم والتذلل والعبودية والخضوع لله تعالى. فالتحلل من الإحرام لا يكون إلا باستكمال التذلل الظاهر فيه بحلق الرأس أو تقصيره.

وهذا من واجبات الحج والعمرة. ولا يشرع هذا النسك والتعبد به إلا في

---

[٤٠١] مسند أحمد بن حنبل - ٢٤٨٠٥ (٦ / ١٠٧) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

[٤٠٢] تقدم تخريجه.

[٤٠٣] الإجماع (ص٥٦) وحكاه ابن عبد البر في الاستذكار(٤/٢٠٧).

هذا المقام، قال الله تعالى: **{ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ}**[الفتح:٢٧]. فجَعَلَ الله تعالى الحَلْقَ والتقصيرَ وصفًا للحَجِّ والعُمْرةِ، والقاعدةُ أنَّه إذا عَبَّرَ بجزءٍ مِنَ العبادةِ عن العبادةِ، كان دليلًا على وجوبِه فيها.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهما ((أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خَرَجَ معتَمِرًا، فحالَ كفَّارُ قريشٍ بينه وبين البيتِ، فنحَرَ هَدْيَه وحَلَقَ رَأسَه بالحُدَيبِيَةِ))[٤٠٤].

وعن عبدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهما؛ أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حلَقَ رأسَه في حَجَّةِ الوداع، وقد قال عليه الصَّلاة والسلامُ: ((لِتَأخُذوا مناسِكَكم))[٤٠٥].

والحلق أفضل من التقصير إلا إذا كانت العمرة قريبة من الحج فيقصّر في العمرة ويحلق في الحج، لأن الحج أكمل من العمرة والحلق أفضل من التقصير فيكون الأكمل للأكمل، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ ". قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ ". قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " وَالْمُقَصِّرِينَ "[٤٠٦]. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما؛ قيل: يا

---

[٤٠٤] صحيح البخاري ٢٧٠١(٣/ ١٨٥).

[٤٠٥] صحيح مسلم١٢٩٧(٢/ ٩٤٣).

[٤٠٦] رواه البخاري (١٧٢٧(٢/ ١٧٤) ومسلم١٣٠١(٢/ ٩٤٥).

رسولَ اللَّهِ لمَ ظاهرتَ للمحلِّقينَ ثلاثًا وللمقصِّرينَ واحدةً. قالَ: ((إنَّهم لم يشُكُّوا))[٤٠٧].

وفي روايةِ أحمدَ: "حلَقَ رِجالٌ يومَ الحُديبيةِ، وقصَّرَ آخرونَ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يرحَمُ اللهُ المحلِّقينَ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، والمقصِّرينَ؟ قال: «يرحَمُ اللهُ المحلِّقينَ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، والمقصِّرينَ؟ قال: «يرحَمُ اللهُ المحلِّقينَ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، والمقصِّرينَ؟ قال: «والمقصِّرينَ». قالوا: فما بالُ المحلِّقينَ يا رسولَ اللهِ، ظاهَرْتَ لهم الرَّحمةَ؟" قال ابنُ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما: فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إنَّهم لم يشُكُّوا))[٤٠٨]، أي: أنَّ الَّذين حَلَقوا شَعرَهم كلَّه حلْقًا تامًّا لم يشُكُّوا في كلامِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ووعْدِه لهم، فحَلَقوا حلْقًا تامًّا، أمَّا المقصِّرونَ فكأنَّهم شكُّوا في ذلك، فقصَّروا؛ ليُوفِّروا شَعرَهم.

وفي صحيحِ مُسلمٍ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال ذلك في حَجَّةِ الوداعِ؛ فمِن طريقِ يحيى بنِ الحُصينِ، عن جدَّتِه: أنَّها سمِعَتِ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في حَجَّةِ الوداعِ دعا للمُحلِّقينَ ثلاثًا[٤٠٩]. ويُجْمَعُ بين الحديثينِ: بأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دعا بذلك في المرَّتينِ. قيل: ووَجْهُ فَضيلةِ الحلْقِ على التَّقصيرِ أنَّه أبلَغُ في العِبادةِ، وأدَلُّ على صِدْقِ النِّيَّةِ في التَّذلُّلِ للهِ تعالى،

---

[٤٠٧] رواه ابن ماجه ٣٠٤٥(٢/ ١٠١٢) بإسناد حسنه الألباني.

[٤٠٨] مسند أحمد٣٣١١(٥/ ٣٣٧).

[٤٠٩] صحيح مسلم ١٣٠٣(٢/ ٩٤٦).

ولأنَّ المقصِّرَ مُبْقٍ على الشَّعرِ الَّذي هو زِينةٌ، والحاجُّ مأمورٌ بتَركِ الزِّينةِ، بل هو أشعثُ أغبَرُ[٤١٠].

[٤١٠] شرح النووي على مسلم (٩/ ٥١).

## الفصل الرابع : المشاعر المكانية والعينية غير المتعلقة بالمناسك.

### المبحث الأول: الشعائر المكانية في المدينة النبوية

**١-أما المدينة النبوية**

فهي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهاجره ومكان سكنه بأبي هو وأمي ونفسي صلى الله عليه وسلم، ومساكن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومنها شعّ نور الإسلام حتى عمّ بقاع المعمورة، ذكرها الله تعالى في كتابه واختارها تعالى مهاجرا ومأوى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، سماها صلى الله عليه وسلم طيبة كما في حديث الجسّاسة، قال صلى الله عليه وسلم: ((هذه طيبة، هذه طيبة)).[٤١١]يعني المدينة، ويأرز إليها الإيمان كما تأرز الحية إلى جحرها[٤١٢].

-ولا يدخلها الدجال ولا الطاعون لقوله صلى الله عليه وسلم: (( على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال))[٤١٣].

-كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها قرية تأكل القرى، قال عليه الصلاة والسلام: ((أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب[٤١٤] وهي

---

[٤١١] صحيح مسلم ٢٩٤٢(٤/ ٢٢٦٣).

[٤١٢] صحيح البخاري ١٨٧٦(٣/ ٢١)؛صحيح مسلم١٤٦(١/ ١٣١).

[٤١٣] صحيح البخاري ٧١٣٣(٩/ ٦١)؛ صحيح مسلم ١٣٧٩(٢/ ١٠٠٥).

[٤١٤] فيه كراهة تسميتها (يثرب) وإنما ذكرت في القرآن حكاية عن قوم غير مؤمنين، وعند أحمد

المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد))[٤١٥] وقيل في معنى:( تأكل القُرى) أقوال:

– إما تغلبهم؛ قال ابن بطال: يفتح أهلُها القرى؛ فيأكلون أموالهم ويسلبون ذراريهم"[٤١٦].

– أو أن أكلها وميرتها من القرى المفتتحة، وإليها تساق غنائمها. وقد كان.

– وقيل: إن فضائل القرى تضمحل في جنب عظيم فضلها وزيادتها على غيرها.

–وقال عنها صلى الله عليه وسلم: ((إن المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها))[٤١٧]وقال: (( من أراد أهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء)) [٤١٨].

---

من حديث البراء يرفعه:((من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة)). وسبب الكراهة أن (يثرب)إما:

– من التثريب، وهو التوبيخ والملامة.

– أو من الثرب، وهو الفساد.

وكلاهما مستقبح، والنبي صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحسن، ويكره القبيح.

[٤١٥] صحيح البخاري ١٨٧١(٣/ ٢١)؛صحيح مسلم ١٣٨٢(٢/ ١٠٠٦).

[٤١٦] شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤/ ٥٤٣).

[٤١٧] صحيح البخاري ١٨٨٣(٣/ ٢٢)؛ صحيح مسلم ١٣٨٣(٢/ ١٠٠٦).

[٤١٨] صحيح مسلم ١٣٨٦(٢/ ١٠٠٧).

وعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا؛ إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ ))[٤١٩].

– والمدينة حرم إلى يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة)) [٤٢٠].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((..اللهم إن إبراهيم حرّم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها)) [٤٢١] يعني المدينة.

ونسبة التحريم إلى إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام السلام باعتبار دعائهما وسؤالهما ذلك، وباعتبار إظهار هذا التحريم وإلّا فإن التحريم من الله

---

[٤١٩] صحيح مسلم ١٣٨١(٢/ ١٠٠٥).

[٤٢٠] صحيح مسلم ـ باب فضل المدينة ودعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها. ٣٣٧٩ (٤ / ١١٢).

[٤٢١] صحيح البخاري ٣٣٦٧(٤/ ١٤٦) صحيح مسلم ١٣٦١(٢/ ٩٩١).

تعالى فهو سبحانه الذي جعل مكة حرماً وجعل المدينة حرماً قال صلى الله عليه وسلم: ((مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس))كما تقدم.

واللّابة: الحرّة، واللابتان إحداهما الشرقية والأخرى الغربية، وهناك حرتان أخريان من ناحية القبلة وما يقابلها –من الشمال والجنوب – فالمدينة تقع بين أربع حرّات، وهناك حَرّة أخرى من ناحية القبلة، فالمدينة تقع بين عدة حرات من الشرق (واقم) ومن الغرب (الوبرة) ومن الجنوب (شوران) وما بين هذه الحرات حرم المدينة وقد حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق من جهة الشمال لخلوه من الحرّات.

واستدل الجمهور منهم ابن أبي ذئب والزهري ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق بهذا الحديث وغيره على تحريم المدينة؛ فقالوا: المدينة لها حرم فلا يجوز قطع شجرها ولا أخذ صيدها، ولكنه لا يجب الجزاء فيه عندهم كمكة؛ خلافاً لابن أبي ذئب فإنه قال: يجب فيه الجزاء، وكذلك دخول الكافر لها.

وذهب الثوري وابن المبارك وأبو حنيفة وصاحباه إلى أنه ليس للمدينة حرم كما لمكة، واحتجوا بحديث أبي عمير والنغير وبقطع النبي صلى الله عليه وسلم النخل لبناء المسجد، وأجيب على ذلك بما هو مفصل في مظانه.

**٢-أما المسجد النبوي والحرم الثاني** فقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم (( صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)).

وتضعيف أجر الصلاة فيه بأكثر من ألف ليس مقيدا بالفرض دون النفل ولا بالنفل دون الفرض بل لهما جميعا لإطلاق قوله صلى الله عليه وسلم (صلاة ) يعني الفريضة بألف فريضة والنافلة بألف نافلة، وأن التضعيف الوارد في الحديث ليس مختصا بالبقعة التي هي المسجد في زمنه صلى الله عليه وسلم بل لها ولكل ما أضيفها إلى المسجد من زيادات، ويدل على ذلك أن الخليفتين الراشدين عمر عثمان رضي الله تعالى عنهما زادا في المسجد من الجهة الأمامية ثم توالت الزيادات حسب الحاجة وكثرة المصلين، وكذلك المسجد الحرام زاد فيه الخلفاء الراشدون ومن بعدهم قال شيخ الإسلام: "..وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الأحكام"[٤٢٢].

لكن التضعيف خاص بالمسجد النبوي وليس لمساجد المدينة، أما التضعيف في المسجد الحرام فيشمل الحرم كله ومساجده كما تقدم.

ولذا فإنه يشرع السفر وشد الرحل لزيارة المسجد النبوي في أي وقت والصلاة فيه، قال صلى الله عليه وسلم:(( لا تشد الرحال الا الى ثلاثة

---

[٤٢٢] مجموع الفتاوى(٢٦ / ١٤٦).

مساجد؛ المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى))[٤٢٣]، أي ليس في الأرض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البلاد الثلاثة، والمراد بالفضل ما شهد الشرع باعتباره، ورتّب عليه حكماً شرعياً، وأما غيرها من البلاد فلا تشد إليها لذاتها؛ بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات[٤٢٤].

وله إذا وصل المسجد النبوي أن يزور قبر النبي صلى عليه وسلم وصاحبيه، رضي الله تعالى عنهما ويسلم عليهم، ولا يقف للدعاء ولا الاستغاثة وطلب المدد والشفاعة وغير ذلك من الأمور التي يفعلها بعض العامة كما له أن يزور البقيع[٤٢٥]، ويسلم على من فيه من الأموات، أما تحديد مواقع القبور كقبر عثمان وقبور عمات النبي صلى الله عليه وسلم وقبور بناته فتحديد مواقع القبور كما يدعى الآن فهذا يعوزه الإثبات، لطول الزمان وعدم إبراز القبور وإشهارها، والاهتمام بهذا إنما جاء متأخراً فبناء القبة على القبر المنسوب للخليفة الراشد عثمان رضي الله تعالى عنه فإنما بنيت متأخرة في أول القرن السابع في عهد صلاح الدين، فلا يعتمد على شيء من دعاوى تحديد قبور الصحابة في البقيع رضي الله تعالى عنهم.[٤٢٦]

---

[٤٢٣] رواه مسلم ١٣٩٧(٢/ ١٠١٤).

[٤٢٤] فتح الباري( ٣/ ٦٦).

[٤٢٥] ويسمى بقيع الغرقد لغرقد كان فيه، وهو ما عظم من نبات العوسج.

[٤٢٦] تحديد النصرة للمراغي ص( ١٢٧).

وكذلك له أن يزور قبور شهداء أحد رضي الله تعالى عنهم ويسلم عليهم ويدعو لهم.

ومن أبرز من دفن في تلك المقبرة حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن عمرو بن حرام ومصعب بن عمير وعمرو بن الجموح وسعد بن الربيع وغيرهم..

وليس في المدينة مواقع غير ما ذكر تشرع زيارتها كالم كالمساجد السبعة والآبار وغيرها.

والزائر للمدينة لا يلزمه أن يصلي أربعين صلاة كما يدعيه باب العامة.

### ٣-وفي المسجد النبوي الروضة الشريفة

التي خصها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة))[٤٢٧]. والحديث على ظاهره فترفع في آخر الزمان. أو أنها أنزلت من السماء كما ورد في الحجر الأسود، والأصل الحمل على الحقيقة وهو أبلغ في التفضيل، ويؤيّده لفظ:((ومنبري على حوضي))[٤٢٨]. وعليه حمله كثير من العلماء[٤٢٩].

---

[٤٢٧] صحيح البخاري ١١٩٥ (٢ / ٧٧)، صحيح مسلم . باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.٣٤٣٤ (٤ / ١٢٣).

[٤٢٨] صحيح البخاري ١١٩٦(٢/ ٦١) صحيح مسلم ١٣٩١(٢/ ١٠١١).

[٤٢٩] المفهم (٣/٥٠٣٩).

أو المعنى التشبيه، بغير أداة التشبيه أي: أنه كروضة كروضة من رياض الجنة لحصول السعادة والأنس والطمأنينة، أو أن العبادة فيها سبب لدخول روضات الجنات، كما يقال: "الجنة تحت ظلال السيوف" فيكون المراد تعظيم هذه البقعة.

أو هو من باب ذكر الشيء والمقصود سببه، قال ابن بطال: "وهو من باب تسمية الشيء بما يؤول إليه ويتولد عنه.." [٤٣٠].

وعلى كل فهذا يدل على فضيلة هذه البقعة وأنها أفضل من سائر المسجد، وإذا فضلت البقعة فضل العمل الصالح فيها، وعظّم العمل السيّء.

والصلاة فيها مستحبة، وهو اختيار أئمة المذاهب وغيرهم من الأئمة المحققين كابن حزم وشيخ الإسلام وغيرهم؛ لتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم لها، ولما ورد من فضل الصلاة في المسجد النبوي وهي جزء منه، ولما ورد عن يزيد ابن أبي عبيد قال كنت مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت يا أبا مسلم: أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: (فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها)[٤٣١] وهذه الأسطوانة جزء من الروضة وليست كل الروضة وتسمى اسطوانة المهاجرين، واسطوانة المصحف، قال الحافظ:"حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة

---

[٤٣٠] شرح صحيح البخاري (٣/ ١٨٤) وينظر: مجموع الفتاوى (١٤ /١٦٠) ومدارج السالكين (٣/ ٢٤٨).

[٤٣١] صحيح البخاري ٥٠٢(١/ ١٠٦) صحيح مسلم ٥٠٩(١/ ٣٦٤).

بالروضة"[٤٣٢]. وكذلك اسطوانة عائشة رضي الله تعالى عنها التي كان ابن الزبير رضي الله تعالى عنه يكثر الصلاة عندها[٤٣٣].

وفضل الذكر وقراءة القرآن فيها والدعاء كفضل الصلاة.

**٤–مسجد قباء.**

يقع في المدينة في جنوبها في العوالي، وهو مسجد بني عمرو بن عوف، وهو أول مسجد أسس على التقوى[٤٣٤]، وصلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عند دخوله المدينة مهاجرا وأنزل الله فيه: **{ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[التوبة:١٠٨]** فقد كان صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت[٤٣٥].

---

[٤٣٢] فتح الباري(١/ ٥٧٧).

[٤٣٣] وفي إسناديهما مقال، كما ورد بعض الأحاديث المرفوعة في فضل الصلاة فيها لكنها لا تصح.

[٤٣٤] وهذا لا يعارض الحديث الدال على أن المسجد النبوي هو أول مسجد أسس على التقوى، قال الحافظ ابن كثير: " وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى". تفسير ابن كثير(٤/ ٢١٤).

[٤٣٥] يحتمل كل يوم سبت وهو ما بعد الجمعة، لمواصلة الأنصار وتفقد حالهم وحال من تأخر منهم عن حضور الجمعة معه. فتح الباري(٣/ ٧٠).

ويحتمل: يعني كل أسبوع، وهذا ما دلّت عليه اللغة واستعمال العرب وكما في حديث استسقائه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وقول الراوي أنس:( فوالله ما رأينا الشمس سبتا)[٤٣٦] أي:أسبوعاً.

فإذا دخل المسجد كره أن يخرج منه حتى يصلي فيه قال: وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يحدِّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزوره راكبا وماشيا[٤٣٧].

وروى الترمذي من حديث أسيد بن حضير الأنصاري رض الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: ((الصلاة في مسجد قباء كعمرة)) [٤٣٨].

ومن حديث سهل بن حُنيف رضي الله تعالى عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيها صلاة كان له كأجر عمرة))[٤٣٩].

فهذه النصوص تدل على فضل الصلاة في مسجد قباء، فهو رابع المساجد الثلاثة في الفضل؛ لكن – كما قال الحافظ في الفتح:"لم يثبت في

---

[٤٣٦] صحيح مسلم ٨٩٧(٢/ ٦١٣).

[٤٣٧]صحيح البخاري. ١١٩١(٢ / ٦٠)، صحيح مسلم. باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته. ٣٤٦١ (٤ / ١٢٧).

[٤٣٨]سنن الترمذي – باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء٣٢٤(٢ / ١٤٥) قال أبو عيسى حديث أسيد حديث حسن غريب.

[٤٣٩] سنن ابن ماجه ١٤١٢(١/ ٤٥٣) صححه الألباني.

ذلك تضعيف بخلاف المساجد الثلاثة"[٤٤٠].

فالمشروع في حقّ مسجد قباء:

١-أن يذهب إليه ماشياً وراكباً كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم. والواو هنا بمعنى (أو ) كما قال الحافظ ابن حجر.

٢- أن يتطهر في بيته وأن يقصد الصلاة فيه فرضاً كان أو نفلاً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحدد، وأدنى ذلك أن يصلي فيه ركعتين نافلة. كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- أن يذهب إليه كل سبت. كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم. وقد بوّب الإمام البخاري بقوله: باب: من أتى مسجد قباء كل سبت، ولأن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يفعل ذلك. وذلك حسب أحد مفهومي السبت، وإلا فإن الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: "لا أبالي في أي يوم جئت"[٤٤١].

وفيها عدم مشروعية زيارة المساجد الأثرية الأخرى في المدينة أو غيرها وتتبع الصلاة فيها كمسجد القبلتين وبقية ما يسمى بالمساجد السبعة وغيرها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد شيئاً منها بالزيارة، ولم يخصها بمزيد فضل، كما خصّ مسجد قباء بالزيارة والفضل، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدين إنما هو بالاتباع، ولذا قال الخليفة الراشد عمر

---

[٤٤٠] فتح الباري لابن حجر (٣/ ٦٩).

[٤٤١] التمهيد لابن عبد البر (١٢/٢٦٦).

بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما رأى الناس يذهبون لمكان يصلون فيه، ويقولون: صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ( إنما أهلك من كان قبلكم بأشباه هذا؛ يتبعون آثار أنبيائهم؛ فاتخذوها كنائس وبيعا، من أدركته صلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصلِّ فيها ولا يتعمدها)[٤٤٢].

وقال الإمام مالك لما سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما يعجبني ذلك إلا مسجد قباء"[٤٤٣].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "وليس في المدينة مسجد يشرع إتيانه الا مسجد قباء، وأما سائر المساجد فلها حكم المساجد المقامة ولم يخصها النبي صلى الله عليه وسلم بإتيان، ولهذا كان الفقهاء ومن أهل المدينة لا يقصدون شيئا من تلك الأماكن إلا قباء خاصة"[٤٤٤]. لا المساجد السبعة والآبار ولا غيرها.

ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعا مستحباً يثاب عليه لكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بذلك، ولكان يعلم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أعلم وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من

---

[٤٤٢] مشكل الآثار للطحاوي (١٢/ ٥٤٥) وابن أبي شيبة(٢ / ٣٧٦) وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى(١/ ٢٨١).

[٤٤٣] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣ /١٥٩).

[٤٤٤] اقتضاء السراط المستقيم (ص٤٣٣).

البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعه، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين ما لم يأذن به الله..[٤٤٥].

وما ورد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما من حرصه على تتبّع آثار النبي صلى الله عليه وسلم والاستنان به وحرصه على موافقته في كل أموره ما استطاع إلى ذلك سبيلا بما في ذلك الأمور العادية التي لا تدخل في التعبد حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها:(ما كان أحد يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم في منازله كما كان يتبعه ابن عمر) [٤٤٦]؛ فهذا من شدة الاقتداء والتأسي والاتباع وفرط المحبة والحرص على التأسي حتى في غير المتعبد به، لا على لا على سبيل التبرك والتعبد؛ ولذلك كان يتحرى حتى المكان الذي قضى فيه النبي صلى الله عليه وسلم حاجته بين عرفة والمزدلفة فيقضي حاجته[٤٤٧].

فيجب التفطن وعدم الخلط بين تتبع الآثار بقصد الاقتداء والتأسي في الأمور المباحة، وبين تتبعها بقصد التبرك عند المتأخرين.

قال شيخ الإسلام: "وذلك أن المتابعة أن يفعل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي فعل لأجل أنه فعل، فإذا قصد الصلاة والعبادة في مكان معين كان قصده الصلاة والعبادة في ذلك المكان متابعه له.." ثم

---

[٤٤٥] اقتضاء الصراط المستقيم (ص٧٩٨).

[٤٤٦] طبقات ابن سعد(٤/ ١٣٥).

[٤٤٧] مسند أحمد ت شاكر (٥/ ٣٩٦).

ذكر أمثلة على ذلك حتى قال: "وقد كان سلمة من الأكوع يتحرى الصلاة عند الأسطوانة قال: (لأني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها) فلما رآه يقصد تلك البقعة لأجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة.."[٤٤٨].

فالقصد هو المتابعة لا التّبرك بالبقعة، وهذه نكتة المسألة، وإزالة شبهة الاستدلال بفعل بعض الصحابة على التبرك بالبقعة غير الشرعي.

## ٥-جبل أُحد.

وهو من مشاهد وجبال ومعالم المدينة الظاهرة وكانت عنده غزوة أحد المشهورة.

قال صلى الله عليه وسلم عند عودته من تبوك[٤٤٩]: ((هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه))[٤٥٠]. وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبّ هذا الجبل فعلى المؤمنين محبته لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم إياه.

والمحبة هنا من طرفين:

الأول: من محبة النبي صلى الله عليه وسلم له، ومن محبته للنبي صلى الله

---

[٤٤٨] مجموع الفتاوى(١٧/ ٤٦٧).

[٤٤٩] وفي رواية في الصحيح أيضاً لما رآه في رجوعه من الحج؛ وفيه أيضاً (٢٨٩٣ و٥٤٢٥) عند مقدمه من خيبر.. فكأنه تكرر منه هذا القول صلى الله عليه وسلم.

[٤٥٠] صحيح البخاري ٤٤٢٢(٦/ ٨)؛ صحيح مسلم ١٣٩٢(٢/ ١٠١١).

عليه وسلم وللمؤمنين. وهذه المحبة على حقيقتها، ولا حاجة فيها إلى تأويل.

أما محبة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأُحد فهي:

– إما أن تكون من الأمور الجبليّة الطبيعية، فقد جبل الخلق على محبة بعض المواقع والبلدان، والمناسبة الطبيعية لا الشرعية هنا هي مبادلته شعور المحبة فقد أحبه واهتز طرباً له.

– وقد تكون محبة شرعية؛ فقد كانت عنده الغزوة المشهورة، وهو من المدينة التي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يحببها إليه وإلى المهاجرين فقال صلى الله عليه وسلم:(( اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد..))[٤٥١]. وقد قال صلى الله عليه وسلم عن مكة:(( والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت))[٤٥٢] فأفضل وأحب البلاد إلى الله تعالى على التعيين مكة؛ ولذا خصت بخصائص وفضائل ليست في غيرها – كما تقدم – وأحب البقاع على العموم المساجد كما سيأتي.

– وقد يكون هذا الحب من التفاؤل الحسن كما ذكر السهيلي فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن والاسم الحسن؛ ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية (اسم الله الأحد) قال:(ومع كونه مشتقاً من الأحدية فحركات حروفه الرفع وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه، فتعلق به الحب من النبي صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى؛ فخصّ بين الجبال بذلك، والله

---

[٤٥١] صحيح البخاري ١٨٨٩(٣/ ٢٣)، صحيح مسلم ١٣٧٦(٢/ ١٠٠٣).

[٤٥٢] رواه أحمد بإسناد صحيح١٨٧١٥(٣١/ ١٠)

أعلم)[٤٥٣] وكان بإذن الله ملجأه لما كسر في غزوة أحد.

وأما الطرف الآخر: وهو محبة أُحد لنبيّنا صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا غرابة في ذلك؛ فقد صعده النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان- رضي الله تعالى عنهم - فرجف الجبل؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اسكن أحد - أظنه ضربه برجله -فليس عليك إلا نبي وصدّيق وشهيدان))[٤٥٤] وكما جاز تسبيح الجبال وسائر الجمادات فلا غرابة في محبتها، وكما حنّ الجذع لما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم منبراً غيره حتى نزل إليه النبي صلى الله عليه وسلم وأتاه فالتزمه فسكن[٤٥٥].

وكما سبح الحصى في يديه صلى الله عليه وسلم، وسلّم عليه الشجر[٤٥٦] والصور في ذلك كثيرة.

وعليه فإن محبة البقاع والبلاد منها ما هو طبيعي جبلي، وهذه يشترك فيها حتى البهائم والطيور، ومنها ما هو شرعي، وهو محبة ما يحبه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من البلاد والبقاع، وقد تجتمع المحبة الطبيعية والشرعية.

---

[٤٥٣] الروض الأنف(٥/ ٢٩٩).

[٤٥٤] صحيح البخاري ٣٦٧٥(٥/ ٩).

[٤٥٥] سنن الترمذي٥٠٥(٢/ ٣٧٩) وصححه الألباني.

[٤٥٦] مسند الشاميين للطبراني ٣١٩٨(٤/ ٢٤٧)، صحيح مسلم٢٢٧٧(٤/ ١٧٨٢).

وشؤم المعاصي يلحق بالبقاع أيضاً؛ فأبغض البلاد إلى الله أسواقها[٤٥٧]لما يحصل فيها من الفسوق والمعصية والغفلة عن ذكر الله تعالى؛ ولذا شرع الإسراع في السير عند المرور بديار المعذبين كوادي محسر – على قول– وعدم الدخول إليها كما قال صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الحجر:(( لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم ))[٤٥٨]. وفي رواية:((ثم قنّع رأسه صلى الله عليه وسلم وأسرع السير حتى أجاز الوادي))[٤٥٩].

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألّا يشربوا من بئرها، ولا يستسقوا منها، فقالوا قد عجنّا واستقينا؟ فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين، ويهرقوا ذلك الماء)[٤٦٠] وفي رواية: ( أن يعلفوا الابل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة)[٤٦١].

ومن مظاهر التعظيم المشروعة للمدينة النبوية:

١ –اعتقاد فضلها وفضل مسجدها ومراعاة حرمتها فهي حرم رسول

---

[٤٥٧] صحيح مسلم ٦٧١(١/ ٤٦٤).

[٤٥٨] صحيح البخاري ٤٣٣(١/ ٩٤).

[٤٥٩] صحيح البخاري ٣٣٨٠(٤/ ١٤٩).

[٤٦٠] صحيح البخاري ٣٣٧٨(٤/ ١٤٨).

[٤٦١] صحيح البخاري ٣٣٧٩(٤/ ١٤٩).

الله صلى الله عليه وسلم ومهاجره وسكناه ومساكن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كما تقدم في فضلها. فعليه أن يستشعر عظمة المكان وشرفه وتاريخ المدينة وأهلها في نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله وحفظ الوحي وشرائع الدين وعلومه وحتى وصل إلينا غضّاً طرياً كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- محبتها لما ورد فيها من الفضل واقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم في حبها وقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا في مدنا وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة))[٤٦٢].

وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جُدُرات المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حرّكها من حبها)[٤٦٣].

٣- أن يحرص المسلم على استثمار إقامته في المدينة على الاجتهاد في الطاعات وأن يستفيد من مضاعفة الأجور لمن صلى في مسجدها. ويستثمر وجوده في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور أصحابه، والوقوف على معالمها المذكورة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

٤- أن يحذر المسلم الوقوع في المحرمات والمعاصي ومالا يليق بشرف

---

[٤٦٢] صحيح مسلم ١٣٧٦(٢/ ١٠٠٣).

[٤٦٣] صحيح البخاري١٨٨٦(٣/ ٢٣).

المدينة وشرف ساكنها عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام، فالمعاصي تعظم في المكان والزمان الفاضلين، والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً))[٤٦٤].

٥-المدينة حرم ما بين لابتيها فلا يتعرض لصيدها، وقد قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: (لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ماذعرتها؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما بين لبتيها حرام))[٤٦٥].وقال صلى الله عليه وسلم: ((المدينة حرم ما بين عَير إلى ثور))[٤٦٦].

لكن يختلف الحرم المدني عن الحرم المكي، فيجوز الأخذ من شجر المدينة، وما تدعو إليه حاجة الزرع، ويختلف جزاء صيده عمن فعل ذلك في مكة.

وليس للقطة فيها حكم خاص كمكة، ويدخلها الكافر. وغير ذلك من الأحكام التي يختلف فيها حرم مكة عن حرم المدينة.

---

[٤٦٤] صحيح البخاري ١٨٧٠(٣/ ٢٠).

[٤٦٥] صحيح البخاري ١٨٧٣(٣/ ٢١).

[٤٦٦] صحيح البخاري ٦٧٥٥(٨/ ١٥٤) صحيح مسلم١٣٧٠(٢/ ٩٩٨).

**المبحث الثاني: المسجد الأقصى.**

قال الله تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}**[الإسراء:١]. فهو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى القبلتين وهو ثاني مسجد وضع في الأرض كما تقدم في الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «المسْجِدُ الحَرَامُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «المسْجِدُ الأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فيه))[٤٦٧].

وقال صلى الله عليه وسلم:((لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا))[٤٦٨] أي: لا تقصد بقعة يسافَر إليها للتعبد والتقرب إلى الله تعالى فيها لما لها من فضل إلا إلى هذه البقاع الثلاثة؛ فتقصد للصلاة فيها والتعبد بالاعتكاف والقراءة وغيرها. وذلك لما لهذه المساجد الثلاثة من الميزات والخصائص العظيمة "وقد بناها أنبياء الله بإذن الله"[٤٦٩].

---

[٤٦٧] صحيح البخاري٣٣٦٦(٤/ ١٤٦).

[٤٦٨] رواه البخاري باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة(٢/٦٠)، ومسلم باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٢/١٠١٤).

[٤٦٩] مجموع الفتاوى(١/ ٣٠٧).

وفي حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ وَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاةٍ وَالصَّلَاةُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِخَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ))[٤٧٠].

وفي حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(( صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى ..))[٤٧١].

ومعنى ذلك أن الصلاة في المسجد الأقصى على الربع من الصلاة في المسجد النبوي، أي ب(٢٥٠) صلاة فيما عداه غير المسجد الحرام.

وقد وردت عدة أحاديث أخر في فضل الصلاة في المسجد الأقصى مع اختلاف في تقدير ذلك الفضل والأجر إلا أنها لا تسلم من مقال.

---

[٤٧٠] رواه البزار في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه٤١٤٢(١٠/٧٧) وقال الهيثمي رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَفِي بَعْضِهِمْ كَلَامٌ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. مجمع الزوائد٥٨٧٣ (٤/٧) ، وقال ابن حجر: إسناده ضعيف. انظر: تلخيص الحبير٢٠٦٩(٤/٤٣٧) وقال ابن تيمية" رُوِيَ " أَنَّهَا بِخَمْسِينَ صَلَاةٍ " وَقِيلَ " بِخَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ " وَهُوَ أَشْبَهُ" مجموع الفتاوى(٢٧/٨).

[٤٧١] رواه الحاكم في المستدرك ٦٨٠٠(٥/ ٧١٢) وصححه ووافقه الذهبي وقال الألباني: هو كما قالا.

**المبحث الثالث: جميع المساجد**

ويظهر تعظيمها في الإسلام فيما يلي:

**أولاً:** أن الله تعالى اختص بها وأضافها إلى ذاته العلية، تشريفاً وتكريما دون من سواه، قال تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}**[الجن:١٨]، لا لأحد غيره.

وقال تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم}**[البقرة:١١٤].

**ثانياً:** كونها بيوت الله تعالى في هذه الأرض، قال صلى الله عليه وسلم:((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه))[٤٧٢].

وقال صلى الله عليه وسلم:((من تطهّر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة))[٤٧٣].

وهذا يدل على تعظيم المساجد بتعظيم الغدو والرواح إليها وما في ذلك

---

[٤٧٢] صحيح مسلم ٧٠٢٨(٨ / ٧١).

[٤٧٣] صحيح مسلم.١٥٥٣ (٢ / ١٣١).

من الأجر الجزيل.

**ثالثا:** كون الله تعالى قد أذن لهذه البيوت أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

قال تعالى: **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}**[النور:٣٦-٣٨].

ومعنى (أذن الله) هذا هو الإذن الشرعي، بمعنى (أمر ووصّى).

ومعنى (أن ترفع ويذكر فيها اسمه) وهذان يجمعان أحكام المساجد، فيدخل في رفعها بناؤها وتنظيفها وصيانتها عن كل ما لا يليق، وبناؤها البناء الحسي والمعنوي.

**فمن الحسّي:** عمارتها بالبناء، نحو قوله تعالى: **{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**[التوبة:١٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: (( من بنى مسجدا لله بنى الله له بيتا في الجنة ))[٤٧٤]، وفي رواية: (( من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بني له بيتا في

---

[٤٧٤] صحيح البخاري. ٤٥٠(١ / ٩٧)، صحيح مسلم ١٢١٧ (٢ / ٦٨).

الجنة ))[٤٧٥].

ومن ذلك تنظيفها وتطييبها وإزالة ما فيها من أوساخ ومنع اتساخها، كما في حديث عائشة: "إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ببناء المساجد في الدور وأمر أن تنظف وتطيب "[٤٧٦]. والدور هي الأحياء السكنية.

وورد من حديث أنس في قصة الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد، قال صلى الله عليه وسلم: (( إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر وإنما هي لذكر الله وقراءة القرآن ))[٤٧٧].

ومن ذلك أيضا:

قوله صلى الله عليه وسلم: (( عرضت علي أمتي بأعمالها حسنها وسيئها، فرأيت من محاسن أعمالها إماطة الأذى عن الطريق ورأيت من سيء أعمالها النخامة في المسجد لا تدفن ))[٤٧٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[٤٧٥] سنن ابن ماجه .كتاب المساجد ٧٣٨ (١ / ٤٧٥) السنن الكبرى ٤٤٦٤- باب فِي فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ. (٢ / ٤٣٧) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه -٦٠٣ (١ / ١٢٤).

[٤٧٦] مسند أحمد بن حنبل -٢٦٤٢٩(٦ / ٢٧٩) سنن الترمذي ٥٩٤ (٢ / ٤٨٩) سنن أبي داود ٤٥٥(١ / ١٧٣) وقال الألباني إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: صحيح أبي داود - ٤٨٠ (٢ / ٣٥٤).

[٤٧٧] صحيح مسلم ٦٨٧(١ / ١٦٣).

[٤٧٨] شعب الإيمان -١٠٦٥٩ (١٣ / ٤٩٠)، مصنف ابن أبي شيبة ٢٦٨٧٣(٩ / ٢٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٠٠٣).

((عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ))[٤٧٩].

وغير ذلك مما يطول ذكره من النهي عن بنائها على القبور أو إدخال القبور فيها، قال صلى الله عليه وسلم:(( لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[٤٨٠]. والنهي عن التصاوير فيها والزخرفة، وما يشغل المصلي في صلاته.

والنهي عن دخول الحائض والنفساء ومن أكل ثوما وبصلا... إلخ، والأمر بأخذ الزينة فيها قال تعالى: **{ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد}**[الأعراف:٣١] يعني عند كل صلاة، وهذا الأمر باتخاذ الزينة يشمل ستر العورة عند الصلاة، ويشمل الزينة المعروفة.

-وكذلك من تعظيمها النهي الصريح عن البزاق فيها كما قال صلى الله عليه وسلم:((البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها))[٤٨١].

- ومن تعظيمها النهي عن مباشرة الزوجات فيها للمعتكف قال تعالى: **{وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [البقرة:١٨٧]** فعن مجاهد قال: "نهي عن الجماع في المساجد كما كانت الأنصار تصنع"[٤٨٢].

---

[٤٧٩] سنن أبي داود ٤٦١(١ / ١٧٤)، سنن الترمذي - ٢٩١٦ (٥ / ١٧٨) قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني انظر: ضعيف الترغيب والترهيب (١ / ٤٧).

[٤٨٠] صحيح البخاري. ٤٣٥ و٤٣٦- - (١ / ٩٥) صحيح مسلم. - ١٢١٥ (٢ / ٦٧)

[٤٨١] صحيح البخاري٤١٥(١/ ٩١) صحيح مسلم٥٥٢(١/ ٣٩٠).

[٤٨٢] عزاه السيوطي لابن المنذر. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٤٨٥).

**أما العمارة المعنوية:** فيجمعها: إقامة ذكر الله فيها، بالصلاة وتلاوة كتابه ومدارسته وحلق العلم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ونحو ذلك.

قال تعالى: **{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِين}**[التوبة:١٨] وقال تعالى محذرا من المنع من عمارتها: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم}**[البقرة:١١٤].

ومن أهم عمارتها: تطهيرها من الشرك ووسائله، كالقبور مثلا، كما تقدم، ومنع وسائل الشرك والبدع، ولذلك أول ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وهو يطوف بالبيت تحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة وهو يردد: **{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}[الإسراء:٨١]**.

ومن هذا المعنى ما أخرجه أصحاب السنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((نهى عن الشراء والبيع في المساجد وأن تنشد فيها الضالّة، وأن ينشد فيها شعر، ونهى عن التحلّق قبل الصلاة يوم الجمعة))[٤٨٣]. أي: أن يجلسوا متحلّقين حلقة واحدة، أو

---

[٤٨٣] سنن أبي داود ١٠٨١ (١ / ٤١٩)، سنن الترمذي ٣٢٢(١/٣٥٣)، السنن الكبرى للنسائي ٧٩٥- (١ / ٣٩٤)، قال الألباني: إسناده حسن. انظر: صحيح أبي داود ٩٩١ (٤ / ٢٤٦).

أكثر، وإن كان لمذاكرة علم، وذلك لأنه ربما قطع الصفوف مع كونهم مأمورين بالتبكير يوم الجمعة والتراص في الصفوف؛ الأول فالأول، ولأنه يخالف هيئة اجتماع المصلين، وقيل غير ذلك[٤٨٤].

**رابعاً:** مما يدل على مكانة المساجد في الإسلام كونها أحبّ البلاد إلى الله تعالى: لما ورد من حديث أبي هريرة في مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها ))[٤٨٥].

**خامساً:** كونها من أبرز شعائر الإسلام الظاهرة ومظاهر الحضارة الإسلامية الخالدة، قال تعالى: **{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}**[الحج:٣٢].

ولذلك أول ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم منذ أن وطئت قدمه المدينة هو الشروع في بناء المسجد.

وأصبح إظهار هذه الشعيرة موجباً للإمساك عن قتال أهل البلد التي تظهر فيه، يدل على ذلك ما أخرجه أبو داود وغيره من حديث عصام المزني قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشًا أو سرية يقول لهم: ((إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحداً ))[٤٨٦].

---

[٤٨٤] تحفة الأحوذي (٢/ ٢٣٠).

[٤٨٥] صحيح مسلم ١٥٦٠(٢ / ١٣٢).

[٤٨٦] سنن أبي داود ٢٦٣٧ (٢ / ٣٤٧) سنن الترمذي – ١٥٤٩ (٤ / ١٢٠) وضعفه الألباني.

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يغر حتى يصبح فإن سمع أذانا أمسك وإن لم يسمع أذانا أغار بعد ما يصبح"[٤٨٧].

ومما يدل على أن المساجد من شعائر هذا الدين أن الأعداء أول ما يهجمون على بلاد المسلمين يبدؤون بضرب مساجدها ومناراتها، والتاريخ القديم والحديث شاهد بأحداثه على ذلك، وما حرق المسجد الأقصى والمسجد البابري ومساجد المسلمين عنا ببعيد قال الله تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم}[البقرة:١١٤]**.

**سادساً:** ومما يدل على مكانتها: مضاعفة الصلاة فيها، بل وجوب ذلك على القادرين من الذكور، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم

---

انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود – ٢٦٣٥ (٦ / ١٣٥) وصحيح وضعيف سنن الترمذي – ١٥٤٩ (٤ / ٤٩).

[٤٨٧] صحيح البخاري ـ ٢٩٤٣ (٤ / ٤٧)، صحيح مسلم ـ ٨٧٣(٢ / ٣).

في صلاة ما انتظر الصلاة))[٤٨٨].

ومن حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه:((إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة..))[٤٨٩].

سابعاً: ومن تعظيم المساجد تعظيم ثواب المكث فيها.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(( لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث))[٤٩٠].

ومع تخصيص الشارع لهذه البقاع والبيوت من بيوت الله عز وجل إلا أن الله عز وجل قد فضّل بعضها على بعض؛ فأولها وأفضلها وأعظمها شرفاً وتفضيلا هو المسجد الحرام، ثم يليه المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى، ورابع الثلاثة مسجد قباء، كما تقدم تفصيل ذلك في ما سبق، فدل على أن البقاع ومنها المساجد ليست على درجة واحدة من الفضل.

**ثامناً:** ومن تعظيم شعائر الله أنه يشرع للقادم من سفر؛ البدء بصلاة ركعتين في المسجد قبل دخول منزله، فقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين، كما أمر بها أصحابه، فعن

---

[٤٨٨] صحيح البخاري٦٤٧ (١ / ١٣١) صحيح ١٥٠٥(٢ / ١٢٢) سنن أبي داود ٥٥٩(١ / ٢١٩) سنن الترمذي ٢١٦(١ / ٤٢١)، سنن ابن ماجه ٧٨٦(١ / ٥٠٣).

[٤٨٩] صحيح مسلم ٦٥٤ (١/ ٤٥٣).

[٤٩٠] صحيح مسلم ٦٤٩(١/ ٤٥٩).

كعب بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر ضحى، دخل المسجد، فصلى ركعتين قبل أن يجلس) [٤٩١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فلما قدمنا المدينة، قال لي: ((ادخل المسجد، فصل ركعتين))[٤٩٢].

قال ابن بطال رحمه الله: "قال المهلب: الصلاة عند القدوم: سنة وفضيلة؛ فيها معنى الحمد لله على السلامة، والتبرك بالصلاة أولَ ما يبدأ به في حَضَرِه.

ونعم المفتاح هي إلى كل خير، وفيها يُناجي العبد ربه تعالى.

وذلك هدى رسول الله وسنته، ولنا فيه أكرم الأسوة"[٤٩٣]، وقال النووي رحمه الله: "وفيه استحباب الابتداء بالمسجد، وصلاة ركعتين فيه عند القدوم من السفر"[٤٩٤].

والذي يظهر، والله أعلم؛ أن صلاة ركعتين عند القدوم من السفر محلها المسجد، وأنها خاصة بالرجال وهي بلا شك من إبراز تعظيم بيوت الله تعالى وتقديمها بالتحيّة والدخول قبل المنازل وقد يكون فيها معنى إشعار أهل المسافر بقدومه قبل الطروق.

---

[٤٩١] رواه البخاري ٣٠٨٨(٤/ ٧٧)، ومسلم ٧١٦ (١/ ٤٩٦).

[٤٩٢] رواه صحيح البخاري ٣٠٨٧(٤/ ٧٧).

[٤٩٣] شرح صحيح البخاري لابن بطال(٥/٢٤٣).

[٤٩٤] شرح النووي على مسلم(١١/٣٦).

**الفصل الخامس: العبادات الظاهرة والأعمال البارزة والهيئات الفارقة.**

من أنواع الشعائر؛ العبادات الظاهرة والأعمال البارزة والهيئات التي تميّز المسلم عن غيره وتكون علامة وشعارا على انتمائه للدين والتزامه به.

ويدخل في ذلك؛ كل عبادة ظاهرة يُتقرّب بها إلى الله تعالى، وتعتبر دلالة وعلامة على دين المظهِر لها.

ومنها الصلاة والصيام والزكاة والحج والوضوء والأذان والمساجد والجمعة والعيدان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء والبراء.

وإظهار السنن والهيئات في المأكل والمشرب والملبس، كإفشاء السلام والأكل باليمين وإعفاء اللحية، ونحو ذلك.

أما الأمور الباطنة فهذه تسمى (أمانات) كالطهارة والغسل من الجنابة، وما خفي من العبادات، وهذه يصعب حصرها وتفصيلها؛ لأنها تشمل الدين كله.

وهذه الشعائر سيأتي عليها يوم تندرس فيه -نسأل الله ألّا ندركه- كما في حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: ((يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة))[٤٩٥].

واندراسها يبدأ بالتساهل في صغائرها فيتدرج ذلك شيئا فشيئا إلى كبائرها.

---

[٤٩٥] سنن ابن ماجه ٤٠٤٩(٢/ ١٣٤٤)؛المستدرك على الصحيحين للحاكم٨٤٦٠(٤/ ٥٢٠) قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

## الفصل السادس: أحوال الناس في تعظيم شعائر الله تعالى

### المبحث الأول: أقسام الناس في تعظيم هذه الشعائر

من طبيعة الناس الاختلاف وتعدد المواقف من القضايا الشرعية ومن القضايا الأخرى، وهذا ما تمّ في مواقف الناس واختلاف أحوالهم من تعظيم شعائر الله تعالى، فالمتأمل لأحوال الناس منها يجدهم على ثلاثة أقسام:

١- الغلاة الذين عظّموا ما لم يعظّمه الله؛ فمنهم من غلا في تعظيم الشعائر حتى عظم مالم يعظمه الشرع، وذلك عام للأمكنة والأزمنة

**فمن الأمكنة:** تعظيمهم وقصدهم بعض الأماكن التاريخية بالزيارة للتعبد بالصلاة والدعاء والتبرك وغيرها كغار حراء وغار ثور، وجبل عرفات، والمكان الذي يُزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وُلد فيه، ومكان البيعة وبعض القبور في المعلاة وغيرها. فهذه كلها لم يرد الشرع بتعظيمها ولا زيارتها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (( من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ))[٤٩٦]، والحقيقة أن هؤلاء وإن كانوا غلاة في تعظيم مالم يعظم الله إلا أنهم في الحقيقة جُفاة في تعظيم شعائر الله، فمن عظّم ما لم يعظّمه الله لا بد أن يخل بما أمر الله بتعظيمه.

ولا شكّ "أن متابعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في أعمالهم أنفع وأولى من متابعتهم في مساكنهم ورؤية آثارهم" ولو كان للناس في تتبع

---

[٤٩٦] صحيح البخاري ٢٦٩٧ (٣ / ١٨٤)، صحيح مسلم. ٤٥٨٩(٥ / ١٣٢).

آثار الأنبياء ومساكنهم وقبورهم مصلحة دينية، أو معاشية لأرشدنا الله إليها، ولما خفيت على الخلق كثير من تلك الآثار والمساكن والقبور[٤٩٧]. و"قد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي لصدق اعتنائهم رضي الله عنهم بما هو أهمّ، من حفظ الشريعة والذّب عنها بالسنان واللسان، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الإسلام"[٤٩٨].

**ومن الأزمنة:** تخصيص شهر رجب وبعض لياليه أو شعبان كليلة النصف منه بعبادات مخصوصة، وتخصيص أيام من أيام السنة بالاحتفالات واتخاذها أعيادا تتكرر كل عام يخصها الناس بأعمال وتهنئات واعتقادات.

**مسألة تكلّف المشقة من أجل العبادة وتعظيمها.**

ثم إنه ليس من تعظيم العبادة وأجرها تكلّف المشقة من أجل العبادة كما يفعله بعض العبّاد والزّهاد.

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، فكان من هديه عليه الصلاة والسلام في كل شؤون حياته البعد عن التكلف فيركب ما تيسر، ويشرب ما تيسر، ويلبس ما تيسر ويركب ما تيسر ويأكل ما تيسر، ولا يحب التكلف في شيء. ولذلك كان صلى الله عليه وسلم كان يركب ويمشي في تنقلاته لأداء شعائر الحج، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى

---

[٤٩٧] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٦٨).

[٤٩٨] رحلة العياشي المغربي إلى مكة(١/٢٢٥).

الله عليه وسلم (كان يأتي قباء راكباً وماشيا)[٤٩٩]. وهذا يؤخذ منه أنه صلى الله عليه وسلم لا يتكلف ولا يتعمد المشقة من أجل العبادة وذلك لأن المشقة مشقتان:

الأولى: المشقّة المعتادة التبعية، وهي التابعة للعبادة ولازمة لها؛ فهذه المشقة محمودة، ويحمد للإنسان أن يتحمّلها ويجاهد نفسه عليها، ويكون الأجر هنا على قدر المشقّة كما في قوله تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين}[التوبة: ١٢٠]**.

وكما في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها في العمرة:(( أجرك على قدر نصبك)) [٥٠٠].

ونحو قوله صلى الله عليه وسلم:((والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران))[٥٠١].

وكما يقتضيه الصيام من جوع وعطش ويقتضيه القيام من سهر وطول قيام (حتى تتورّم قدماه صلى الله عليه وسلم)[٥٠٢].

---

[٤٩٩] تقدم تخريجه.

[٥٠٠] صحيح البخاري ١٧٨٧(٣/ ٥)، صحيح مسلم ١٢١١(٢/ ٨٧٦).

[٥٠١] صحيح مسلم٧٩٨(١/ ٥٤٩).

[٥٠٢] الكنى والأسماء للدولابي ١١١٤(٢/ ٦٢٢).

فالمشقة هنا غير مقصودة بذاتها ولكن العبادة تقتضيها، فهذه محمودة يؤجر عليها العبد.

الأخرى: المشقة المقصودة بالأصالة: وهذه مشقة منفصلة عن العبادة، يتكلف العبد وجودها ويستدعيها، فهذه مشقة مذمومة، لا يحمد للمرء أن يستدعيها ويتكلّفها، فالنبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يهادى بين ابنيه فقال: مابال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي- يعني للحج - فقال:(إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني) وأمره أن يركب[٥٠٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فكثيراً ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب، لا لأن التعبد والمشقة مقصود من العمل، ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب، وهذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال"[٥٠٤].

٢- الجفاة، وهم الذين لا يبالون بتعظيم حرمة ولا شعيرة، لا زمانية ولا مكانية، كما هو حال كثير من الناس اليوم، هدانا الله وإياهم.

يقول صلى الله عليه وسلم: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة، ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه ))[٥٠٥] والإلحاد هو الميل عن القصد والعدول عنه.

---

[٥٠٣] صحيح البخاري ١٨٦٥(٣/ ٢٠)، صحيح مسلم ١٦٤٢(٣/ ١٢٦٣).

[٥٠٤] مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٢٢).

[٥٠٥] تقدم تخريجه.

**ويدخل فيه:**

– فعل المعاصي والهمّ بها في الحرم وإن لم يفعلها، قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم}**[الحج:٢٥]، فلم يُرتب الذنب على الإرادة إلا في الحرم، وفي المسند: ((لو أن رجلا هم فيه بإلحاد وهو بعدن أبْيَن لأذاقه الله عذابا أليما))[٥٠٦] وتقدم الكلام على ذلك.

– ويدخل فيه ارتكاب الكبائر، وأعظمها وأكبرها: الإشراك بالله عز وجل، والتهاون في الصلاة، والإعراض عن دين الله، وتصديق الكهنة والسحرة والمشعوذين.

– وتدخل فيه أيضا جميع البدع، بجميع صورها وأصنافها وخاصة في الحرمين الشريفين، ولذا قال صلى الله عليه وسلم عن حرم المدينة لما سأل عاصم أنسا: قلت لأنس: أحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؟ قال: ((نعم، ما بين كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))، قال عاصم: فأخبرني موسى بن أنس أنه قال: ((أو آوى محدثا))[٥٠٧] وتقدم في الحديث: (وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس).

---

[٥٠٦] مسند أحمد ٤٣١٦(٧/ ٣٤٠) قال محققه: إسناده حسن، روي مرفوعا وموقوفا.

[٥٠٧] صحيح البخاري ٧٣٠٦(٩/ ١٠٠).

– ويدخل فيه التساهل في فعل ما نهى الله عنه، والتقصير في فعل ما أمر الله تعالى به، بل قد يصل ببعضهم من التهاون إلى الاستهزاء والسخرية بشعائر الدين وعلمائه، والقائمين عليها من الدعاة والمصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والصدّ عن دين الله.

ومن التفريط والخذلان عدم استثمار الإنسان لوجوده في المسجد الحرام بالطاعات من طواف وصلاة بالمسجد الحرام ونحوها، بل تجد أكثر أوقاتهم في الأسواق والاشتغال بالملهيات، والغفلة والإعراض عن ذكر الله، نسأل الله العافية.

ومن المعلوم أن" المعاصي في الأمكنة المعظمة يغلّظ عقابها بقدر فضيلة الزمان والمكان"[٥٠٨] كما أن الجرأة على مقارفة المعاصي والآثام في الأزمنة والأمكنة الفاضلة من علامات مقت الله تعالى لعبده فـ"إذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه من بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت"[٥٠٩] بينما إذا أحب الله عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بفضائل الأعمال.

٣–أما أهل الهدى وأهل السنة — أهل الوسط – وهم من عظموا ما عظم الله ورسوله، واتبعوا أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يبتدعوا، قال قتادة رحمه الله: " عظموا ما عظم الله فإنما تعظم الأمور بما عظمها

---

[٥٠٨] الفتاوى الكبرى(٢/ ٤١٢).

[٥٠٩] إحياء علوم الدين(١/ ١١٨).

الله به عند أهل الفهم والعقل"[٥١٠].

قال أبو شامة رحمه الله تعالى: "ولا ينبغي تخصيص العبادات بأوقات لم يخصها به الشرع؛ بل تكون جميع أعمال البرّ مرسلة في جميع الأزمان، ليس لبعضها على بعض فضل إلّا ما فضّله الشرع وخصّه بنوع من العبادة.." إلى أن قال: "فالحاصل أن المكلّف ليس له منصب التخصيص؛ بل ذلك إلى الشارع"[٥١١].

**المبحث الثاني: قاعدة تعظيم الشعائر عند أهل السنة والجماعة.**

وبهذا يتبيّن لنا قاعدة التعظيم للشعائر عند أهل السنّة والجماعة، وهي:

– إن تعظيم شعائر الله عبادة، مبني على التوقيف في عينه وهيئته فلا يعظّم إلا ما عظمه الله ورسوله من الأماكن والأزمان والأحوال، ولا يعظم إلا بما شرع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا بالأهواء والآراء واستحسانات العقول.

وبهذا يتبين أن تفضيل الزمان أو المكان بعبادة ومزيد فضل لا يكون إلا بشرطين:

١– تعظيم الشارع لذلك الزمان او المكان "فلا يعظّم إلا ما عظّمه

---

[٥١٠] تفسير الطبري(١٠/ ٨٩).

[٥١١] الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص: ٥١).

الشارع"[٥١٢].

٢- الاقتصار على تعظيمه بما عظّمه به الشارع من غير زيادة أو نقصان.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى أن أن باب التقرب إلى الله عز وجل مسدود إلا من خلال الشرع الذي يبلغه لنا رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن مبنى القربات على التوقيف من الشارع.."[٥١٣].

وعلى ذلك دلّت النصوص الكثيرة، ومن النماذج العملية التطبيقيّة لهذه القاعدة:

١- قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الحَجر الأسود: "إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك"[٥١٤].

٢- ما روي عن يعلى بن أمية، قال: طفت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحِجْر، أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: بلى، قال: فهل رأيته يستلمه؟ قلت: لا، قال: فانفذ عنك"[٥١٥].

---

[٥١٢] مجموع الفتاوى(١٠/ ٤٠٩).

[٥١٣] ينظر: الرد على البكري (١/ ٢٨٨).

[٥١٤] رواه البخاري- باب ما ذكر في الحجر الأسود(٢/١٤٩) ومسلم باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف(٢/٩٢٥).

[٥١٥] مسند أحمد٢٥٣(١/ ٣٦٥).

٣- وعن أبي الطفيل، قال: رأيت معاوية، يطوف بالبيت عن يساره عبد الله بن عباس، وأنا أتلوهما، في ظهورهما، أسمع كلامهما فطفق معاوية يستلم ركني الحِجر، فقال له عبد الله بن عباس: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يستلم هذين الركنين ". فيقول معاوية: دعني منك يا ابن عباس، فإنه ليس منها شيء مهجور. فطفق ابن عباس لا يزيده، كلما وضع يده على شيء من الركنين قال له ذلك.(٥١٦) وفي رواية أنه رد عليه بآية: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..}**[الأحزاب:٢١] فانتهى معاوية عندها.

٤- وأَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِقَطْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَطَعَهَا لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَذْهَبُونَ فَيُصَلُّونَ تَحْتَهَا ويتبركون، فَخَافَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ.(٥١٧).

٥- وتقدم إنكار عمر رضي الله تعالى عنه على من يتتبعون مواقع يصلون فيها يقولون صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:(إنما أهلك من كان قبلكم بأشباه هذا يتبعون آثار أنبيائهم؛ فاتخذوها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصلّ فيها ولا يتعمدها..).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"إن المتابعة أن يفعل مثلما فعل - يعني النبي صلى الله عليه وسلم -على الوجه الذي فعل، فإذا فعل

---

(٥١٦) مسند أحمد٢٢١٠(٤/ ٨٧).

(٥١٧) المصنف لابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، البدع لابن وضاح (٢/ ٨٨).

فعلا على وجه العبادة شُرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، إذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك.." إلى قال:"..وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده مثل أن ينزل بمكان ويصلي فيه لكونه نزله لا قصدا لتخصيصه بالصلاة والنزول فيه، فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متّبعين، بل هذا من البدع التي كان نهى عنها عمر رضي الله تعالى عنه"[٥١٨].

ثم هنا يحسن التنبيه إلى أمور منها:

١- إن تعظيم الأمكنة التي لم يعظّمها الشارع أشد خطراً وأشر من تعظيم الأزمنة، وذلك لأن تعظيم الأجسام بالعبادة أقرب إلى عبادة الأوثان من تعظيم الزمان[٥١٩].

٢-أن من تعظيم شعائر الله تعالى مخالفة المشركين والمغضوب عليهم والضالين في شعائرهم التعبدية، وهذا واضح جليّ في شعيرة الحج وفي عاشورا وغيرها.

٣- أن من الأخطاء المنهجية عند بعض المنكرين على المتعبّدين في بعض الأزمان والأماكن الفاضلة التي لم يرد تخصيصها بنوع من أنواع العبادة أنهم ينكرون عليهم تلك العبادات المخصصة بغير دليل، وهذا حقّ، لكنهم لا يوجهونهم ويأمرونهم بالتعبّد المشروع ومنه العبادات المطلقة العامة المشروعة

---

[٥١٨] مجموع الفتاوى(١/ ٢٨٠).

[٥١٩] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٦٥٠).

في كل زمان ومكان.

ولذا فقد يتوقف هذا الحريص على التعبد عن العبادة مطلقاً بسبب الإنكار عليه في عبادات مخصصة.

– أن التعظيم عبادة يتقرب بها الى الله تعالى، وهي حق من حقوقه تعالى ليس لأحد غيره، فالله تعالى هو المشرع المختار، ورسوله صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله تعالى شرعه

– أن التخصيص بالتعظيم والاختيار هو أيضاً حق من حقوق الله تعالى. فلا يعظم إلا ما عظمه الله تعالى.

– أن شرط العبادة مبني على التوقيف:

أ– فلا يعظم إلا ما عظمه الله تعالى.

ب–ولا يعظم إلا بما شرعه الله تعالى

– أن تعظيم مالم يعظمه الله تعالى، أو تعظيم ما عظمه الله تعالى بغير ما شرع من التعظم يعد بدعة شنيعة مردودة ومرذولة وتجاوزاً على حق من حقوق الله تعالى.

**خاتمة البحث:**

-أهمية التنبيه على تعظيم شعائر الله تعالى والحث عليها، وأن تعظيمها من تعظيم الله عزوجل .

-أن المقصود بشعائر الله هي المعالم الظاهرة لدينه تعالى، وكل ما جعل علما لطاعة الله تعالى من المعالم الزمانية والمكانية وأعيان العبادات الظاهرة، ويدخل في ذلك الهدايا والمناسك في الحج ومشاعره دخولا أوليًّا.

-من أبرز شعائر الله إعلان التوحيد وإظهاره، والبراءة من الشرك وأهله، ومخالفة أصحاب الجحيم، ويبرز ذلك في شعار الحج "التلبية" وفي شعائره الأخرى.

-أن تعظيم الشعائر عبادة لله تعالى، تطبق عليه قاعدة شروط العبادة، فلا يعظم إلا ما عظمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من الأماكن والأزمان والأعيان. ولا تعظم إلا بما شرعه الله ورسوله، لا بالأهواء والآراء واستحسانات العقول.

-أكثر شعائر الله المكانية البارزة في بلد الله الحرام، لذلك لم يشرع الحج والعمرة إلّا إليه.

-تعظيم شعائر الله من أهمّ أسباب وجلِ القلوب، فكل ما عظمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو عظيم، وتعظيمه علامة صلاح القلب، وقد أورث الله من عظّم شعائره التقوى في قلبه.

-أن أهل السنة وسط بين الغلاة في تعظيم الشعائر، والجفاة في عدم تعظيمها

كما هو منهجهم في سائر عباداتهم، وهذا من أبرز خصائصهم.

– التعظيم الشرعي هو الاقتصار على المشروع كمّاً وكيفيّاً في تعظيم الأعيان والأزمان والأماكن، والغلو في التعظيم ليس تعظيما شرعيّاً.

– الشعائر المعظّمة لا تملك لمعظِّميها نفعاً ولا ضرّاً وإنما تعظّم لأمر الشارع بتعظيمها؛ فتعظيمها إنما هو تعظيم للآمر بذلك سبحانه وتعالى.

–إن من أشد صور الجفاء لشعائر الله وعدم تعظيمها هو إشغال الناس بتعظيم مواسم زمانية ومواقع ومشاهد وآثار مبتدعة؛ لصرف وجوه الناس وقلوبهم عن تعظيم شعائر الله الحقيقية إلى تعظيم هذه المبتدعات من المشاهد والقبور والموالد ونحوها.

–إن ضعف تعظيم شعائر الله هو أثر من آثار ضعف تعظيم الله تعالى في القلوب، فمن عظم الله عظم دينه وشرعه وشعائره.

**نسأل الله الكريم أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويعظمون ما أمر الله ورسوله بتعظيمه على مراد الله ورسوله، وصلى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

| فهرس المحتويات | |
|---|---|
| **الموضوع** | **الصفحة** |
| المقدمة | |
| الفصل الأول: معنى الشعائر ومعنى تعظيمها وأنواعها. | |
| معنى المشعر الحرام | |
| موارد شعائر الله تعالى في السنة | |
| معاني شعائر الله في اللغة | |
| المواطن التي ذكر الله تعالى فيها شعائره وأمر بتعظيمها | |
| أقوال العلماء في معنى شعائر الله | |
| معنى التعظيم لغة واصطلاحاً | |
| المعنى المركب: تعظيم شعائر الله تعالى | |
| أنواع شعائر الله | |
| الفصل الثاني: الشعائر الزمانية وتعظيمها | |
| ١- شهر رمضان | |
| ٢- الأشهر الحرم | |
| -خصوصية شهر الله المحرم | |
| -يوم عاشوراء | |
| ٣- أشهر الحج | |

| | |
|---|---|
| ٤- عشر ذي الحجة. | |
| -يوم عرفة | |
| -يوم النحر | |
| ٥- أيام التشريق | |
| ٦- عيد الفطر وعيد الأضحى | |
| ٧- يوم الجمعة | |
| ٨- الاثنين والخميس | |
| ٩- الثلث الأخير من الليل | |
| ١٠- وقت الفجر ووقت العصر | |
| الفصل الثالث : الشعائر المكانية والعينية في مكة المكرمة والمتعلقة بالمناسك | |
| المبحث الأول: مكة المكرمة وما يتعلق بها من المشاعر | |
| فضائل مكة وخصائصها | |
| الشعائر داخل مكة المكرمة | |
| أولا: الكعبة المشرفة | |
| فضائل الكعبة | |
| -الحجر الأسود | |
| -الركن اليماني | |

| | |
|---|---|
| -الملتزم | |
| -الحِجْر | |
| ثالثاً: مقام إبراهيم | |
| رابعا: ماء زمزم | |
| فضائل زمزم | |
| خامساً: الصفا والمروة | |
| سادساً: عرفات | |
| سابعاً: المزدلفة | |
| بعض الأحكام المشروعة في المزدلفة | |
| ثامناً: مشعر منى | |
| شعيرة النسك والذبح تقرباً لله تعالى | |
| أنواع الذبائح التي تذبح تعظيماً وتعبداً لله تعالى. | |
| -الهدي | |
| -الأضحية | |
| -العقيقة | |
| تاسعاً: المواقيت المكانية لمريد الحج والعمرة | |
| المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى من خلال تعظيم مشاعره تعالى المكانية في مكة المكرمة. | |
| أولاً: تعظيم الله تعالى بالتوحيد. | |

| | |
|---|---|
| أهمية الإهلال بالتوحيد ودلائله | |
| ثانيا: تعظيم الله تعالى بالبراءة من من الشرك وأهله وشعائره وشرائعه | |
| ثالثاً: تعظيم الله تعالى بوجوب إخلاص الحج والعمرة له تعالى. | |
| رابعا: ومن تعظيم الله: تحريم الرفث والفسوق والجدال في أثناء أدائها، والتأدب بالآداب الشرعية وتعظيم حرمات الله وشعائره | |
| خامسا: تعظيم الله تعالى بالتسليم لأمره والانقياد لشرعه وقصر الاتباع في العبادة على الوحي المعصوم من خلال التأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفعله وتقريره. | |
| سادسا: تعظيم الله تعالى وشعائره بالاغتسال والوضوء والتنظف والتطيب عند أداء شعائره تعالى. | |
| سابعاً: تعظيم الله تعالى بالحلق أو التقصير عند التحلل من الإحرام بالحج أو العمرة. | |
| الفصل الرابع : المشاعر المكانية والعينية غير المتعلقة بالمناسك. | |
| المبحث الأول: الشعائر المكانية في المدينة النبوية | |

| | |
|---|---|
| ١- أما المدينة النبوية | |
| ٢- المسجد النبوي | |
| ٣- الروضة الشريفة | |
| ٤- مسجد قباء | |
| ٥- جبل أُحد | |
| المبحث الثاني: المسجد الأقصى | |
| المبحث الثالث: جميع المساجد | |
| لفصل الخامس: العبادات الظاهرة والأعمال البارزة والهيئات الفارقة. | |
| الفصل السادس: أحوال الناس في تعظيم شعائر الله تعالى | |
| المبحث الأول: أقسام الناس في تعظيم هذه الشعائر مسألة تكلّف المشقة من أجل العبادة وتعظيمها. | |
| المبحث الثاني: قاعدة تعظيم الشعائر عند أهل السنة والجماعة. | |
| خاتمة البحث | |
| المحتويات | |